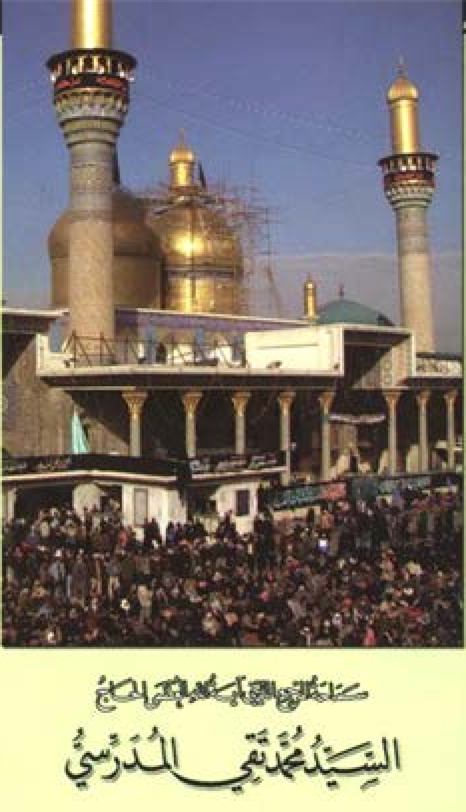
سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة

١١



كتاب لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج

السيد محمد تقي المدرسي

الإمام الجواد عليه السلام

قدوة وأسوة

الإمام الجواد عليه السلام

قدوة وأسوة

سِلسلة النَّبي وَأهْل بَيْتِهِ قُدوة وأسوة - ١١

الإمام الجواد عليه السلام

قُدوةٌ وأُسوةٌ

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج

السيّد محمّد تقي المدرّسيّ

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net > رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

هوية الكتاب:

* **الكتاب**: الإمام الجواد عليه السلام قدوة وأسوة.

* **المؤلف**: المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.

* **الطبعة**: الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

* **الناشر**: مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، بيروت. (alasrr@gmail.com).

دار كميل للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، طريق المطار،

ص.ب: ٧٩٥٧/ ١١ (dar_komail@yahoo.com).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعمتَ عَلَيهِمْ

غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ٧﴾

تمهيد

أحمد ربي المُوَفِّق عباده لطاعته، المقدّر لهم الخير في عبادته، وأصلّي على النبّي محمد سيد المرسلين وعلى آله المعصومين.

وبعد:

يسرني أن أجد فرصة متاحة لأغمر يراعي الصغير في بحر البطولة والعبقرية من حياة الإمام الجواد -تاسع الأئمة الطاهرين-، حيث تمتزج فيه البطولة بالاستقامة، والطهارة بالمجد والشرف.

والإمام الجواد الذي أتشرف بسرد موجز من حياته المباركة، كان أقصر الأئمة عمراً حينما أدركته المنية، فلقد وُلِدَ في سنة (١٩٥) هجرية وتُوُفِّيَ في سنة (٢٢٠)، وكل عمره (٢٥) سنةً فقط.

ومن هذه الناحية تكون حياة إمامنا ذات أهمية تدعو إلى البحث أكثر، حيث إن بعض البسطاء من الناس قد يستغربون إمامة فتى لم يبلغ من العمر أكثر من سبع سنوات.

ومن جهة أخرى إن عصر الامام الجواد عليه السلام كان من العصور الزاخرة بالأحداث المختلفة والتيارات المتفاوته التي تدعو إلى دراسته بصورة خاصة.

ونحن إذ نُقَدِّمُ حياة الإمام عليه السلام، نستعرض أيضاً بعض الأحداث التاريخية التي رافقت حياته بين سنة (١٩٥ - ٢٢٠) هجرية.

فإليكم الحديث مفصلاً..

الفصل الأول

الأَصِلُ الكَرِيم والمِيلادُ المُبَارَك

١- والـــده:

والده الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولقد كان عبقريًا ملأ فضله وعلمه آفاق العالم الإسلامي، فلهج بمدحه مخالفوه، كما هلّل به شيعته ومو الوه سواءً بسواء، فكان الرضا الذي ارتضى به الخالق إماماً وحجةً، وللخلق سيِّداً وقدوةً.

٢- أمـــه:

السيدة سبيكة النوبية التي وفدت إلى المدينة مع من وفد من أهل إفريقيا، فالتحقت بآل الرسول وأنجبت سيدهم الإمام الجواد عليه السلام، وتذهب بعض الروايات إلى أنها كانت من قوم مارية القبطية زوجة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلّا أن ذلك مستبعد.

٣- ميلاده:

في عقيدتنا: أن الإمام الذي يختاره الله لكي يكون قدوة صالحة للخير والصلاح يلزم أن يكون كاملاً من جميع الوجوه، وأيَّما نقص أو

عيب في الفكر أو في الجسم عند الإنسان يبين أنه ليس إماماً. ولقد كان الإمام الرضا عليه السلام قد بلغ الخامسة والخمسين ولم يرزق ولداً، فذهبت بعض الإشاعات تنشر من قبل دعاة الواقفية الذين قالوا بغيبة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وأنه لم يوصِ إلى أي إمام من بعده، قائلين بأن الإمام الرضا عليه السلام عقيم ليس له ولد، وهو عيب واضح في القدوة الدينية. فإذاً لا يكون هو الإمام الحق حسب زعمهم، حتى كتب بعضهم إليه عليه السلام رسالة قال فيها:

كَيْفَ تَكُونُ إِمَاماً وَلَيْسَ لَكَ وَلَدٌ؟ فَأَجَابَهُ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: «**مَا عَلَّمَكَ أَنَّهُ لا يَكُونُ لِي وَلَدٌ، وَاللهِ لا تَمْضِي الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَرْزُقَنِي اللهُ وَلَداً ذَكَراً، يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ**»(1).

وجاء إليه رجل من أصحابه يقول: مَنِ الْإِمَامُ بَعْدَكَ؟ فَقَالَ لِيَ الْإِمَامُ: ابْنِي، ثُمَّ قَالَ: هَلْ يَجْتَرِئُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ ابْنِي وَلَيْسَ لَهُ وَلَد؟ فيحدث الراوي: أنه فَلَمْ تَمْضِ الْأَيَّامُ حَتَّى وُلِدَ أَبُو جَعْفَرٍ الجواد(2).

ودخل عليه ابن قيام الواسطي، وكان من الواقفية الذين لم يكونوا يعترفون بالإمام الرضا عليه السلام، فأراد أن يعيب عليه فقال: أَيَكُونُ إِمَامَانِ؟، قَالَ: **لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا صَامِتاً**. فقال الرجل: هُوَ ذَا أَنْتَ لَيْسَ لَكَ صَامِتٌ، فَقَالَ: **بَلَى، وَاللهِ لَيَجْعَلَنَّ اللهُ لِي مَنْ يُثْبِتُ بِهِ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ وَيَمْحَقُ بِهِ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ**. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْوَقْتِ لَهُ وَلَدٌ فَوُلِدَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام بَعْدَ سَنَةٍ(3).

(1) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢.
(2) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢.
(3) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢.

الميلاد المبارك:

وكانت سنة (١٩٥) هجرية، وكان شهر رمضان، وكان الشيعة المخلصون يعيشون أشد الانتظار لمقدم ولد الإمام الرضا عليه السلام، ذلك الذي زخرت أحاديثهم تُنبئ عن مقدمه المبارك، وهم الراوون عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «**بِأَبِي ابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ النُّوبِيَّةِ**»[1]، وهو يشير إلى الإمام عليه السلام، ليدحضوا حجة الواقفية الذين قد أكثروا من الدعايات ضده.

وكانت تلك الليلة توافق ليلة التاسع عشر من شهر الله المبارك، حينما بزغ من أفق الحق بدر أضحى شمساً للهدى، وسماءً في جلاله، ألا وهو الإمام الجواد عليه السلام.

وتناقل الرواة الحديث على لسان والده العظيم يقول: «**هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْهُ**»[2].

أجل، لقد وُلِدَ الإمام في الوقت الذي اختلفت فيه الشيعة أيّما اختلاف، وكانت دعايات بعض المخالفين لهم تشق طريقها إلى أفئدة بعض السذج منهم. كانت آية صدق الإمام الرضا وإبطال زعم الواقفية تثبت بميلاد ابنه الموعود.

فلما وُلِدَ الجواد عليه السلام ذهبت دعايات الواقفية أدراج الرياح، وذابت كما يذوب الملح في الموج الهادر، وأصبح ميلاد الإمام سبباً لانتصار الحق واتحاد الشيعة، أتباع الحق، بعد الاختلاف والتفرقة،

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢١.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠.

أضف إلى ذلك أن الإمام الرضا عليه السلام كان يقول دائماً: إن ابني خليفتي عليكم، وهم يرون أن لا ابن له. وحتى إذا بلغ مرحلة الكهولة، ومضت الشكوك تراود أفئدة البسطاء من الموالين؛ جاء الإمام الجواد عليه السلام، فكان ميلاداً مباركاً ميموناً، فهلّلت الشيعة وسبّحت لله لمّا رأت في أحاديثها الصدق والحق.

عهد الصبا:

وترعرع الطفل الشريف في رعاية والده العظيم عليه السلام كما يترعرع الورد على كف النسيم، يُضفي عليه والده المعارف والأداب، فتجتمع أصول الحسب بشرف المَحْتِد، فإذا بالمواهب تتفتح كما يتفتح الفجر عن صبح بهيج.

وإذا بمشيئة الله تتعلق على أن يكون الطفل، وهو في صباه، سيداً وإماماً.

سبق الدهر كله في صباه ومشى الدهر خادماً من ورائه

وعندما كان الإمام الجواد عليه السلام في الخامسة من عمره جاءت رسل المأمون العباسي تحثُّ والده الإمام الرضا عليه السلام ليُهاجر إلى العاصمة الجديدة للبلاد الإسلامية وهي خراسان، ويكون ولي العهد وذلك بعدما قتل المأمون أخاه الأمين، وكانت الظروف تُكرِه الإمام علي بن موسى عليه السلام على أن يُغادر المدينة إلى خراسان عاصمة المسلمين الجديدة، حيث إن الحرب التي قامت بين الأخوين العباسيين: الأمين والمأمون، كانت قد صرفت كثيراً من طاقات المسلمين وجعلتها وقوداً مشتعلاً لها، بل قامت ثورة خراسان على كتف الشيعة هناك الذين

استُخدموا في ثورة العباسيين الأولى ضد الحكم الأموي، ثم سُرِقَتْ ثورتهم بانحراف القادة وذهبت مساعيهم أدراج الرياح، وهذه الثورة الثانية قامت رَدَّ فعل قوي لانحراف دفَّة الحكم عن آل بيت الرسول، أصحابه الشرعيين، والمأمون كان ممن تشيع ظاهراً ونادى بمبادئ الشيعة صريحاً في باكورة أمره، وأكره الإمام الرضا عليه السلام على الرحيل إلى خراسان ليثبت فكرة تشيعه في قلوب التابعين ثم يصنع ما يشاء.

استعد الإمام الرضا عليه السلام للرحيل ولكنه كان يعلم يقيناً بما سوف يحدث له بعد سفره، إنها رحلة واضحة المعالم، ولكنها خطة يجب أن يسير عليها الإمام حسب الظروف وحسب التعاليم الظاهرية للدين الإسلامي، يجب عليه أن يبلّغ فيعذر، ويعمل حسب مقدرته على بث الوعي الصحيح للمسلمين وإن كان ذلك سوف يُودي بحياته الكريمة، ثم ودَّع أهله وجعل الخليفة عليهم ابنه الجواد، وهو ابن الخامسة فقط، لِمَا كان يعرف منه من الكفاءة الموهوبة، وراح الرضا يخترق السهل والجبل إلى خراسان حيث تستقبله الجماهير المؤمنة ويجعلونه وليًّا لعهدهم، تنتقل إليه الخلافة الإسلامية بعد المأمون، وكانت الرسائل تربط بين الوالد والولد، فترد تباعاً بشأن الأمور الخاصة أو العامة.

أما الإمام الرضا عليه السلام فقد كان معجباً بنجله أيّما إعجاب، فإذا جاءت رسالة عن الجواد عليه السلام وأراد أن يُخبر شيعته بها قال: كتب لي أبو جعفر أو كتبتُ إلى أبي جعفر، فلا يقول ابني ولا يرضى باسمه الخاص، بل يكنيه إجلالاً واحتراماً.

وأما ولده التَّقي في المدينة فقد كان يختلف إليه الشيعة اختلافهم إلى والده الرضا عليه السلام؛ لأنهم كانوا يعرفون أنه إمامهم في المستقبل،

وعلى حد تعبيرهم (إمامهم الصامت).

وذات يوم، والشيعة في حضرة الجواد عليه السلام وفي مشهده، إذ تغيَّر حاله وأخذ يبكي، وعندما جاء الخادم، أمره بإقامة المأتم.

- عزاء من؟ ومأتم لمن؟ جعلت فداك.

- مأتم أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقد استشهد الساعة في خراسان.

- بأبي أنت وأمي، خراسان قطر يبتعد عن المدينة آلاف الأميال، وتفصل بينهما سهول وجبال.

- نعم، دخلني ذل من الله عزّ وجلَ لم أكن أعرفه، فعرفت أن أبي قد توفي[1].

وكان الإمام الجواد يُكنى بأبي جعفر ليكون تذكاراً لجده أبي جعفر بن علي الباقر عليه السلام، ولأنه لم يكن له ولد يُسمى بجعفر.

وكان يُلقب بألقاب شتى، منها: الجواد، والتَّقي، والمرتضى، والمنتجب، والقانع، بيد أن لقباً واحداً اشتُهر به أكثر من غيره وهو «ابن الرضا»، ذلك أن أباه الإمام الرضا عليه السلام طار صيتُه في الآفاق لما اشتهر به من الفضل والجد فعرف الناس ثلاثة من أبنائه باسم ابن الرضا، ولذلك كان كلٍّ من الإمام التاسع والعاشر والحادي عشر يعرفون بـ(ابن الرضا) لِمَا كان للرضا من الصيت الواسع الحسن بين المسلمين.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٦٣.

الفصل الثاني

حياته وإمامته

إمام وهو (صبي):

الإمامة في عقيدة الشيعة القائلين بها تختلف عنها في منطق الآخرين كثيراً. فإن الكلمة تعني عند الشيعة الخلافة المطلقة لشخص الرسول ولعلومه ومعارفه ومؤهلاته وصلاحياته ومسؤولياته، وبتعبير آخر «صورة كاملة للنبوة»، بفارق واحد فقط هو أن الإمام لا يُوحى إليه، في حين أن النبي يُوحى إليه، فلا نبي بغير وحي، ولكن الإمام من دونه.

والنبوة -في منطق الإسلام- صلاحية فريدة في نوعها ومتميزة عن صلاحيات سائر البشر، يهبها الله تعالى إلى فرد يختاره ويجعله وسيطاً يتلقّى الوحي منه وينشره بين قومه، وإذا تمت هذه الفكرة عن النبي تتم عن الإمام بالملاك نفسه والحجة نفسها، وكما أنه إذا صح القول بأنه من الممكن ان يغتدي الصبي نبيًا وهو في المهد رضيع، صح ذلك في الإمام عليه السلام.

والعمر وإن كان مقياساً للناس في الأغلب ولكنه ليس بمقياس عند الله، فليس الأكبر سنّاً أعظم عند الله دائماً، ورُبَّ شيخ بغيض عند ربه ولرُبَّ شاب أو طفل محبوب عند بارئه. العمل الصالح والنية الطيبة والإمكانات الموهوبة وما إلى ذلك مما يهب الفرد قيمة وتقديراً هو المقياس الأول عند الإسلام وفي منطق القرآن. أضف إلى ذلك أن القول بالنبوة والإمامة لا يمكن إلّا بعد

الإيمان الكامل بقدرة الله تعالى على أن يجعل من فرد واحد مجمعاً للفضائل، ومرجعاً للمعارف، وقدوة للناس وأسوة للخلق؛ فالاعتقاد بالنبوة يفرض على الإنسان الإيمان بالمعجزة (والتي هي ما يتعدى طاقة الإنسان)، وله ميزة على سائر البشر حتى يمكنه أن يقودهم ويقول لهم: إنني نذير من الله.

وإذا كانت المعجزة تعني شيئاً خارجاً عن الطبيعة الجارية في سائر الخلق، فلا فرق بين أن يكون الفرد الذي تتجلى فيه المعجزة كبيراً أو صغيراً، غنيًّا أو فقيراً.

وطالما زعمت الأمم السالفة: أن النبي يجب أن يكون له مال وثراء عريض، ويكون سيداً في قومه ورئيساً مهيباً، فأفهمهم أنبياؤهم عليهم السلام أن الله إذا أراد أن ينزّل رحمته في فرد لا تتوافر فيه هذه الشروط ويجعله نبيًّا، فهل في ذلك من بأس؟ قال تعالى:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1].

ولطالما أُعجبت الأمم ودُهشت حينما رأت أن الله قد بعث إليها صبيًّا نبيًّا، ولكن ربنا أبرز لهم أن فعله ذلك إنما كان تعمداً ليعرفهم معنى النبوة، وأنها ليست موهبة عادية تبرز في فرد دون فرد، تبعاً للبيئة والتربية، وإنما هو نبوغٌ عن عادة الخلق، وخرقٌ لسنة الكون، ونداء جديد ليس يشابهه نداء المخلوقات، بأن الله هو القادر وأنه إليه المصير، يقول علي بن أسباط في حديث له عن الإمامة: «رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

قَدْ خَرَجَ عَلَيَّ، فَأَحْدَدْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى رَأْسِهِ وَإِلَى رِجْلِهِ لِأَصِفَ قَامَتَهُ لِأَصْحَابِنَا بِمِصْرَ، فَخَرَّ سَاجِداً وَقَالَ: إِنَّ اللهَ احْتَجَّ فِي الْإِمَامَةِ بِمِثْلِ مَا احْتَجَّ فِي النُّبُوَّةِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1].

وَقَالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾[2].

وَقَالَ: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[3].

فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُؤْتَى الْحِكْمَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ، وَيَجُوزُ أَنْ يُؤْتَى وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[4].

أجل إذا كانت النبوة معجزة الله تعالى، أو كانت آية الابتداء؛ فسواء -إذاً- أن تظهر في كبير أو صغير.

وعن بعض الرواة أنه قال: «كُنْتُ وَاقِفاً عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام بِخُرَاسَانَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا سَيِّدِي! إِنْ كَانَ كَوْنٌ فَإِلَى مَنْ؟ (يريد: إذا متَّ فمن الإمام بعدك؟).

قَالَ: إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ابْنِي.. وَكَأَنَّ الْقَائِلَ اسْتَصْغَرَ سِنَّ أَبِي جَعْفَرٍ.

فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ عِيسَى رَسُولًا نَبِيًّا صَاحِبَ شَرِيعَةٍ مُبْتَدَأَةٍ فِي أَصْغَرَ مِنَ السِّنِّ الَّذِي فِيهِ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام»[5].

نعم: ليس هناك أي استبعاد لما يشاؤه الله ويفعله، فقد يجعل

(١) سورة مريم، الآية: ١٢.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٤) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٤ - ٣٧.
(٥) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٣ - ٢٤.

عيسى نبيًّا في أول صباه، ويهب محمد بن علي الإمامة صبيًّا أيضاً.

كان للإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام ولد يدعى علي بن جعفر، وكان وجيهاً محترماً لدى الشيعة الإمامية، وكان يفد إليه الناس، وينهلون من علومه التي تلقَّاها مباشرةً عن أبيه الصادق عليه السلام وأخيه موسى بن جعفر عليه السلام. فيقول بعض المحدثين: «كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام جَالِساً بِالْمَدِينَةِ، وَكُنْتُ أَقَمْتُ عِنْدَهُ سَنَتَيْنِ أَكْتُبُ عَنْهُ مَا سَمِعَ مِنْ أَخِيهِ يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الرِّضَا عليه السلام الْمَسْجِدَ -مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ عليه السلام-، فَوَثَبَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ بِلَا حِذَاءٍ وَلَا رِدَاءٍ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَعَظَّمَهُ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: **يَا عَمِّ اجْلِسْ رَحِمَكَ اللهُ.**

فَقَالَ: يَا سَيِّدِي! كَيْفَ أَجْلِسُ وَأَنْتَ قَائِمٌ؟!

فَلَمَّا رَجَعَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى مَجْلِسِهِ جَعَلَ أَصْحَابُهُ يُوَبِّخُونَهُ وَيَقُولُونَ: أَنْتَ عَمُّ أَبِيهِ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِهِ هَذَا الْفِعْلَ؟

فَقَالَ: اسْكُتُوا، إِذَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ -وَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ- لَمْ يُؤَهِّلْ هَذِهِ الشَّيْبَةَ وَأَهَّلَ هَذَا الْفَتَى وَوَضَعَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ أُنْكِرُ فَضْلَهُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِمَّا تَقُولُونَ، بَلْ أَنَا لَهُ عَبْدٌ»[1].

بعد وفاة والده:

تُوُفِّيَ الإمام الرضا في خراسان مسموماً، ودفن في طوس، واختلفت -بسبب موته- الأمة الإسلامية، وفقدت الأمة ملامحها التي كانت قد تميَّزت بها في عهد الرضا عليه السلام. فرجعت الخلافة إلى

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٢٢.

بغداد، وقرّب المأمون العباسي من يريد وغدر بمن كان قد نصره على أخيه الأمين في نزع الملك عنه، وغيّر شعاره الذي اتخذه للثورة التي كانت نصف علوية، ورجع إلى لبس السواد، فأصبحت الدولة دولة عباسية مرة أخرى.

ومرة كان الإمام يسير في طرقات بغداد العاصمة المزدحمة، وقد اصطف الناس لابن الرضا عليه السلام، رافعين أعناقهم كي يفوزوا بنظرة منه، وكان من الواقفين رجل زيدي المذهب، يحدثنا فيقول:

خَرَجْتُ إِلَى بَغْدَادَ فَبَيْنَا أَنَا بِهَا إِذْ رَأَيْتُ النَّاسَ يَتَعَادَوْنَ وَيَتَشَرَّفُونَ وَيَقِفُونَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟

فَقَالُوا: ابْنُ الرِّضَا عليه السلام، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَنْظُرَنَّ إِلَيْهِ، فَطَلَعَ عَلَى بَغْلٍ أَوْ بَغْلَةٍ، فَقُلْتُ: لَعَنَ اللهُ أَصْحَابَ الْإِمَامَةِ حَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ طَاعَةَ هَذَا. فَعَدَلَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا قَاسِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾(١).

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: سَاحِرٌ وَاللهِ!

فَعَدَلَ إِلَيَّ فَقَالَ: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾(٢).

قَالَ: فَانْصَرَفْتُ وَقُلْتُ بِالْإِمَامَةِ وَشَهِدْتُ أَنَّهُ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاعْتَقَدْتُ بِه»(٣).

أجل.. إن الاستغراب الذي غمر قلب هذا الرجل من جهة صغر

(١) سورة القمر، الآية: ٢٤.
(٢) سورة القمر، الآية: ٢٥.
(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٦٤.

السن كان جوابه في هاتين الآيتين المباركتين واضحاً مستبيناً.

وكان الإمام الجواد عليه السلام رابضاً بالمدينة وهو الفتى الحديث في السن، المُقدَّر عند الله والخلق، قد أعطت الشيعة -وهي يومذاك كثرة لا يُستهان بها- أزمّتها بيده فنهض بتدبيرها خير نهوض، حتى التفَّتْ حوله طائفة من أصحاب أبيه وجده.

في المدينة:

وبقي في المدينة المنورة بعد عهد إمامته زهاء ثمانية أعوام، يحترمه الخاص والعام ويأوي إليه البعيد والقريب، يسألونه عما أغمض وأشكل عليهم فيحل ذلك لهم في أسرع وقت.

يقول بعض الرواة: «لَمَّا مَاتَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام حَجَجْنَا فَدَخَلْنَا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، وَقَدْ حَضَرَ خَلْقٌ مِنَ الشِّيعَةِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ لِيَنْظُرُوا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَدَخَلَ عَمُّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً نَبِيلاً عَلَيْهِ ثِيَابٌ خَشِنَةٌ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ سَجَّادَةٌ، فَجَلَسَ وَخَرَجَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام مِنَ الْحُجْرَةِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ قَصَبٌ وَرِدَاءٌ قَصَبٌ وَنَعْلٌ حَذْوٌ بَيْضَاءُ، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ وَاسْتَقْبَلَهُ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَامَتِ الشِّيعَةُ وَقَعَدَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام عَلَى كُرْسِيٍّ وَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ تَحَيُّراً لِصِغَرِ سِنِّهِ.

فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقَالَ لِعَمِّهِ: أَصْلَحَكَ اللهُ! مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَتَى بَهِيمَةً؟[1] فَقَالَ: تُقْطَعُ يَمِينُهُ وَيُضْرَبُ الْحَدَّ.

فَغَضِبَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: **يَا عَمِّ! اتَّقِ اللهَ -اتَّقِ اللهِ- إِنَّهُ لَعَظِيمٌ أَنْ تَقِفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولَ لَكَ: لِمَ أَفْتَيْتَ**

(١) أي باشر ووطئ بهيمة.

النَّاسَ بِمَا لَا تَعْلَمُ. فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ: يَا سَيِّدِي! أَلَيْسَ قَالَ هَذَا أَبُوكَ عليه السلام؟

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا سُئِلَ أَبِي عَنْ رَجُلٍ نَبَشَ قَبْرَ امْرَأَةٍ فَنَكَحَهَا، فَقَالَ أَبِي: تُقْطَعُ يَمِينُهُ لِلنَّبْشِ وَيُضْرَبُ حَدَّ الزِّنَاءِ فَإِنَّ حُرْمَةَ الْمَيِّتَةِ كَحُرْمَةِ الْحَيَّةِ. فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا سَيِّدِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ. فَتَعَجَّبَ النَّاسُ، فَقَالُوا: يَا سَيِّدَنَا! أَتَأْذَنُ لَنَا أَنْ نَسْأَلَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ. فَسَأَلُوهُ فِي مَجْلِسٍ عَنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُمْ فِيهَا وَلَهُ تِسْعُ سِنِينَ»[1].

وهـذه القصـة تُبيِّن مدى أهميـة الإمام في عين الشيعة، ثم غزارة علمه، وطول باعه، وسعة ثقافته، التي نبعت عن قلب نفخ فيه الله علمه ومعرفته، وأكثر فيه تقواه وخشيته.

إلى بغداد:

وحينما انتقل المأمون العباسي إلى بغداد، وكان يعيش في صراع دائم مع العباسـيين الذين اسـتنكروا عليه إعطاءه ولاية العهد للرضا عليه السلام، مُذكِّرين إياه أن هؤلاء بني فاطمة هم المناوئون الذين يُخشى جانبهم أكثر من أي مناوئ آخر؛ لأن لهم أنصاراً وموالين في شرق البلاد وغربها.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٨٥ – ٨٦. ومن المحتمل أن يكون عمره ثماني سنوات فقط كما هو مذكور في بعض الأحاديث، حيث إن الذي يبدو من هذا الحديث: أن الشيعة كانت قد اجتمعت بالمدينة في الموسم بعد وفاة الإمام الرضا مباشرة، وكان للإمام الجواد عليه السلام (٧) سنين حين موته في آخر شهر صفر، فلما انقضت سبعة أشهر جاء شهر رمضان ودخل الجواد في الثامنة، وفي موسم الحج من تلك السنة كانت هذه المحاورة. كما أن من الممكن كون الأسئلة وُجِّهت إلى الإمام في أيام متعددة مع وحدة المجلس، فيكون مجلسه أشبه بالمؤتمرات التي تطول أياما تباعاً يقضونها بالبحث باستثناء أوقات الراحة والطعام.

وكان المأمون يبرر موقفه من علي بن موسى بنقل فضائله التي عجزت شفاه المأمون وغيره عن أن تحصيها عدًّا قائلاً: إن أهل هذا البيت قد ورثوا العلم من آبائهم كما ورثوا المكارم والخلق الرفيع.

وكانت الشيعة يومئذ قد قويت شوكتهم بالإمام الرضا وأصبح لهم دعاة مخلصون في كل زاوية من البلاد الإسلامية، ومالت إليهم العامة لما ظهر من الإمام الرضا عليه السلام في المسرح السياسي من آيات الفضل والكمال.

ثم إنه ذهبت دعوتهم إلى إمامة بني فاطمة تنتشر أكثر من أي يوم آخر، لأن كثيراً منهم نالوا المناصب الرفيعة في الدولة وقاموا بحركات إيجابية دائمة بسبب الاختلاف الذي وقع بين العباسيين، وعرفت السلطة طوائف كثيرة من العباسيين أنفسهم كانوا يكيدون للدولة ويريدون لأنفسهم السلطان، فاضطرت إلى استخدام مناوئ هؤلاء من الشيعة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر كانت موجة من الاستياء العام تمثل العامة بسبب قتل المأمون للرضا عليه السلام. وتغطيةً لغدره بالرضا عليه السلام، واحتجاجاً على الخاصة من العباسيين، واستمالةً لفؤاد العامة من غيرهم؛ أرسل المأمون إلى المدينة يطلب الإمام الجواد عليه السلام في دعوة رسمية.

كان ذلك في السنة (٢١١) هجرية حيث كان لأبي جعفر الجواد من العمر زهاء (١٦) سنة فقط.

ومما يبدو من التاريخ: أن وُفُود الإمام عليه السلام كان حافلاً بالاحتفاء الملوكي، الذي هيَّأه الخليفة لمقدم موفده المبارك.

وكان الناس يبشرون أنفسهم بابن الرضا عليه السلام الذي طالما تشوَّقوا إلى رؤيته والمثول عنده.

واستقبله المأمون استقبالاً حافلاً، ونوى أن يزوجه ابنته أم الفضل، كما زوّج أباه الرضا عليه السلام ابنته أم حبيب.

فاعترضه العباسيون اعتراضاً شديداً، خوفاً من انتقال الخلافة إلى بني فاطمة.

فاجتمع من أهل بيته الأدنون وقالوا له: نَنْشُدُكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُقِيمَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي عَزَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزْوِيجِ ابْنِ الرِّضَا عليه السلام، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ بِهِ عَنَّا أَمْرٌ قَدْ مَلَّكَنَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَنْزِعَ مِنَّا عِزًّا قَدْ أَلْبَسَنَاهُ اللهُ. وَقَدْ عَرَفْتَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَدِيماً وَحَدِيثاً، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ قَبْلَكَ مِنْ تَبْعِيدِهِمْ وَالتَّصْغِيرِ بِهِمْ، وَقَدْ كُنَّا فِي وَهْلَةٍ مِنْ عَمَلِكَ مَعَ الرِّضَا عليه السلام مَا عَمِلْتَ، فَكَفَانَا اللهُ الْمُهِمَّ مِنْ ذَلِكَ، فَاللهَ اللهَ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَى غَمٍّ قَدِ انْحَسَرَ عَنَّا.

فَقَالَ لَهُمُ الْمَأْمُونُ: أَمَّا مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آلِ أَبِي طَالِبٍ فَأَنْتُمُ السَّبَبُ فِيهِ، وَلَوْ أَنْصَفْتُمُ الْقَوْمَ لَكَانُوا أَوْلَى بِكُمْ، وَأَمَّا مَا كَانَ يَفْعَلُهُ مَنْ قَبْلِي بِهِمْ فَقَدْ كَانَ قَاطِعاً لِلرَّحِمِ وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ وَاللهِ، مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي مِنِ اسْتِخْلَافِ الرِّضَا عليه السلام، وَلَقَدْ سَأَلْتُهُ أَنْ يَقُومَ بِالْأَمْرِ وَأَنْزِعَهُ مِنْ نَفْسِي فَأَبَى، وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً!!

وَأَمَّا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فَقَدِ اخْتَرْتُهُ لِتَبْرِيزِهِ عَلَى كَافَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ.

وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا قَدْ عَرَفْتُهُ مِنْهُ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّأْيَ مَا رَأَيْتُ فِيهِ.

فَقَالُوا: لَهُ إِنَّ هَذَا الْفَتَى وَإِنْ رَاقَكَ مِنْهُ هَدْيُهُ فَإِنَّهُ صَبِيٌّ لَا مَعْرِفَةَ

لَهُ وَلَا فِقْهَ، فَأَمْهِلْهُ لِيَتَأَدَّبَ ثُمَّ اصْنَعْ مَا تَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ: وَيْحَكُمْ إِنِّي أَعْرَفُ بِهَذَا الْفَتَى مِنْكُمْ، وَإِنَّ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ عِلْمُهُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَمَوَادِّهِ وَإِلْهَامِهِ، لَمْ تَزَلْ آبَاؤُهُ أَغْنِيَاءَ فِي عِلْمِ الدِّينِ وَالْأَدَبِ عَنِ الرَّعَايَا النَّاقِصَةِ عَنْ حَدِّ الْكَمَالِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَامْتَحِنُوا أَبَا جَعْفَرٍ بِمَا يَتَبَيَّنُ لَكُمْ بِهِ مَا وَصَفْتُ لَكُمْ مِنْ حَالِهِ.

قَالُوا: قَدْ رَضِينَا لَكَ -يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ- وَلِأَنْفُسِنَا بِامْتِحَانِهِ، فَخَلِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ لِنَنْصِبَ مَنْ يَسْأَلُهُ بِحَضْرَتِكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فِقْهِ الشَّرِيعَةِ، فَإِنْ أَصَابَ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا اعْتِرَاضٌ فِي أَمْرِهِ، وَظَهَرَ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ سَدِيدُ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ، وَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ كُفِينَا الْخَطْبَ فِي مَعْنَاهُ. فَقَالَ لَهُمُ الْمَأْمُونُ: شَأْنَكُمْ وَذَلِكَ مَتَى أَرَدْتُمْ. فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى مَسْأَلَةِ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَاضِي الزَّمَانِ، عَلَى أَنْ يَسْأَلَهُ مَسْأَلَةً لَا يَعْرِفُ الْجَوَابَ فِيهَا وَوَعَدُوهُ بِأَمْوَالٍ نَفِيسَةٍ عَلَى ذَلِكَ، وَعَادُوا إِلَى الْمَأْمُونِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَخْتَارَ لَهُمْ يَوْماً لِلِاجْتِمَاعِ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي اتَّفَقُوا عَلَيْهِ وَحَضَرَ مَعَهُمْ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ، وَأَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُفْرَشَ لِأَبِي جَعْفَرٍ دَسْتٌ وَيُجْعَلُ لَهُ فِيهِ مِسْوَرَتَانِ فَفُعِلَ ذَلِكَ، وَخَرَجَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ، فَجَلَسَ بَيْنَ الْمِسْوَرَتَيْنِ، وَجَلَسَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَامَ النَّاسُ فِي مَرَاتِبِهِمْ وَالْمَأْمُونُ جَالِسٌ فِي دَسْتٍ مُتَّصِلٍ بِدَسْتِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ لِلْمَأْمُونِ:

يَأْذَنُ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَسْأَلَ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: اسْتَأْذِنْهُ فِي ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي -جُعِلْتُ فِدَاكَ- فِي مَسْأَلَةٍ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: **سَلْ إِنْ شِئْتَ.**

قَالَ يَحْيَى: مَا تَقُولُ -جُعِلْتُ فِدَاكَ- فِي مُحْرِمٍ قَتَلَ صَيْداً؟

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام:

- قَتَلَهُ فِي حِلٍّ أَوْ حَرَمٍ؟
- عَالِماً كَانَ الْمُحْرِمُ أَوْ جَاهِلًا؟
- قَتَلَهُ عَمْداً أَوْ خَطَأً؟
- حُرًّا كَانَ الْمُحْرِمُ أَوْ عَبْداً؟
- صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً؟
- مُبْتَدِئاً بِالْقَتْلِ أَوْ مُعِيداً؟
- مِنْ ذَوَاتِ الطَّيْرِ كَانَ الصَّيْدُ أَمْ مِنْ غَيْرِهَا؟
- مِنْ صِغَارِ الصَّيْدِ أَمْ مِنْ كِبَارِهَا؟
- مُصِرًّا عَلَى مَا فَعَلَ أَوْ نَادِماً؟
- فِي اللَّيْلِ كَانَ قَتْلُهُ لِلصَّيْدِ أَمْ فِي النَّهَارِ؟
- مُحْرِماً كَانَ بِالْعُمْرَةِ إِذْ قَتَلَهُ أَوْ بِالْحَجِّ كَانَ مُحْرِماً؟[1].

فَتَحَيَّرَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ وَبَانَ فِي وَجْهِهِ الْعَجْزُ وَالِانْقِطَاعُ وَتَلَجْلَجَ حَتَّى عَرَفَ جَمَاعَةُ أَهْلِ الْمَجْلِسِ أَمْرَهُ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: الْحَمْدُ للهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ

(١) في هذه الفقرات التالية تبدو بطولته العلمية التي تظهر في مدى استطاعته على التشقيق، وقديماً قالوا: تشقيق السؤال نصف الجواب، بالإضافة إلى بديهة الخاطر، والذكاء النادر الذي يحيط بجميع جوانب المسألة، وكل سؤال ثنائي للإمام عليه السلام يضرب في السؤال السابق عليه ويضرب فيه السؤال اللاحق به، لأن السؤال يكون على هذا الوجه، لو كان القتل في الحل فهو على قسمين، إما أن يكون المحرم عالماً أو جاهلاً، كما أن القتل في الحرم ينقسم بدوره إلى قسمين: إما أن يكن المحرم عالماً أو جاهلاً، وهكذا دواليك.

وَالتَّوْفِيقِ لِي فِي الرَّأْيِ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ لَهُمْ: أَعَرَفْتُمُ الْآنَ مَا كُنْتُمْ تُنْكِرُونَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: أَتَخْطُبُ يَا أَبَا جَعْفَرٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: اخْطُبْ لِنَفْسِكَ -جُعِلْتُ فِدَاكَ- قَدْ رَضِيتُكَ لِنَفْسِي وَأَنَا مُزَوِّجُكَ أُمَّ الْفَضْلِ ابْنَتِي وَإِنْ رَغِمَ قَوْمٌ لِذَلِكَ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: **الْحَمْدُ لِلَّهِ إِقْرَاراً بِنِعْمَتِهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِخْلَاصاً لِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ بَرِيَّتِهِ، وَالْأَصْفِيَاءِ مِنْ عِتْرَتِهِ، أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ كَانَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى الْأَنَامِ أَنْ أَغْنَاهُمْ بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).**

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى يَخْطُبُ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ عَبْدِ اللهِ الْمَأْمُونِ، وَقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَهْرَ جَدَّتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ جِيَاداً، فَهَلْ زَوَّجْتَهُ -يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ- بِهَا عَلَى هَذَا الصَّدَاقِ الْمَذْكُورِ؟

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: نَعَمْ قَدْ زَوَّجْتُكَ -يَا أَبَا جَعْفَرٍ- أُمَّ الْفَضْلِ ابْنَتِي عَلَى الصَّدَاقِ الْمَذْكُورِ، فَهَلْ قَبِلْتَ النِّكَاحَ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: قَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ وَرَضِيتُ بِهِ.

حفلة الزواج:

قَالَ المحدث: وَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ سَمِعْنَا أَصْوَاتاً تُشْبِهُ أَصْوَاتَ الْمَلَّاحِينَ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ، فَإِذَا الْخَدَمُ يَجُرُّونَ سَفِينَةً مَصْنُوعَةً مِنْ فِضَّةٍ مَشْدُودَةً بِالْحِبَالِ مِنَ الْإِبْرِيسَمِ عَلَى عِجْلَةٍ مَمْلُوَّةٍ مِنَ الْغَالِيَةِ (قسم من العطر)، ثُمَّ أَمَرَ الْمَأْمُونُ

(١) سورة النُّور، الآية: ٣٢.

أَنْ تُخْضَبَ لِحَاءُ الْخَاصَّةِ مِنْ تِلْكَ الْغَالِيَةِ، ثُمَّ مُدَّتْ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ فَتَطَيَّبُوا مِنْهَا، وَوُضِعَتِ الْمَوَائِدُ فَأَكَلَ النَّاسُ، وَخَرَجَتِ الْجَوَائِزُ إِلَى كُلِّ قَوْمٍ عَلَى قَدْرِهِمْ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيَ مِنَ الْخَاصَّةِ مَنْ بَقِيَ قَالَ الْمَأْمُونُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنْ رَأَيْتَ -جُعِلْتُ فِدَاكَ- أَنْ تَذْكُرَ الْفِقْهَ الَّذِي فَصَّلْتَهُ مِنْ وُجُوهٍ مِنْ قَتْلِ الْمُحْرِمِ؛ لِنَعْلَمَهُ وَنَسْتَفِيدَهُ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام:

نَعَمْ، إِنَّ الْمُحْرِمَ إِذَا قَتَلَ صَيْداً فِي الْحِلِّ وَكَانَ الصَّيْدُ مِنْ ذَوَاتِ الطَّيْرِ وَكَانَ مِنْ كِبَارِهَا فَعَلَيْهِ شَاةٌ، فَإِنْ أَصَابَهُ فِي الْحَرَمِ فَعَلَيْهِ الْجَزَاءُ مُضَاعَفاً، وَإِذَا قَتَلَ فَرْخاً فِي الْحِلِّ فَعَلَيْهِ حَمَلٌ قَدْ فُطِمَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِذَا قَتَلَهُ فِي الْحَرَمِ فَعَلَيْهِ الْحَمَلُ وَقِيمَةُ الْفَرْخِ، فَإِذَا كَانَ مِنَ الْوَحْشِ وَكَانَ حِمَارَ وَحْشٍ فَعَلَيْهِ بَقَرَةٌ، وَإِنْ كَانَ نَعَامَةً فَعَلَيْهِ بَدَنَةٌ، وَإِنْ كَانَ ظَبْياً فَعَلَيْهِ شَاةٌ، وَإِنْ كَانَ قَتَلَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فِي الْحَرَمِ فَعَلَيْهِ الْجَزَاءُ مُضَاعَفاً هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ، وَإِذَا أَصَابَ الْمُحْرِمُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْهَدْيُ فِيهِ وَكَانَ إِحْرَامُهُ بِالْحَجِّ نَحَرَهُ بِمِنًى، وَإِنْ كَانَ إِحْرَامُهُ بِالْعُمْرَةِ نَحَرَهُ بِمَكَّةَ، وَجَزَاءُ الصَّيْدِ عَلَى الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ سَوَاءٌ، وَفِي الْعَمْدِ عَلَيْهِ الْمَأْثَمُ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُ فِي الْخَطَاءِ، وَالْكَفَّارَةُ عَلَى الْحُرِّ فِي نَفْسِهِ وَعَلَى السَّيِّدِ فِي عَبْدِهِ وَالصَّغِيرُ لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ، وَهِيَ عَلَى الْكَبِيرِ وَاجِبَةٌ، وَالنَّادِمُ يُسْقِطُ نَدَمُهُ عَنْهُ عِقَابَ الْآخِرَةِ، وَالْمُصِرُّ يَجِبُ عَلَيْهِ الْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْأَلَ يَحْيَى عَنْ مَسْأَلَةٍ كَمَا سَأَلَكَ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام لِيَحْيَى: **أَسْأَلُكَ؟** قَالَ ذَلِكَ إِلَيْكَ -جُعِلْتُ فِدَاكَ- فَإِنْ عَرَفْتُ جَوَابَ مَا تَسْأَلُنِي عَنْهُ وَإِلَّا اسْتَفَدْتُهُ مِنْكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: **أَخْبِرْنِي عَنْ رَجُلٍ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَكَانَ نَظَرُهُ إِلَيْهَا حَرَاماً عَلَيْهِ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ حَلَّتْ لَهُ، فَلَمَّا**

زَالَتِ الشَّمْسُ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ حَلَّتْ لَهُ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَقْتُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ حَلَّتْ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ انْتِصَافِ اللَّيْلِ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ حَلَّتْ لَهُ مَا حَالُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَبِمَا ذَا حَلَّتْ لَهُ وَحَرُمَتْ عَلَيْهِ؟

فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: لَا وَاللهِ لَا أَهْتَدِي إِلَى جَوَابِ هَذَا السُّؤَالِ وَلَا أَعْرِفُ الْوَجْهَ فِيهِ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفِيدَنَاهُ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هَذِهِ أَمَةٌ لِرَجُلٍ مِنَ النَّاسِ نَظَرَ إِلَيْهَا أَجْنَبِيٌّ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَكَانَ نَظَرُهُ إِلَيْهَا حَرَاماً عَلَيْهِ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ ابْتَاعَهَا مِنْ مَوْلَاهَا فَحَلَّتْ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الظُّهْرِ أَعْتَقَهَا فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ تَزَوَّجَهَا فَحَلَّتْ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ ظَاهَرَ مِنْهَا فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ كَفَّرَ عَنِ الظِّهَارِ فَحَلَّتْ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ طَلَّقَهَا وَاحِدَةً فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْفَجْرِ رَاجَعَهَا فَحَلَّتْ لَهُ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يُجِيبُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِمِثْلِ هَذَا الْجَوَابِ أَوْ يَعْرِفُ الْقَوْلَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ السُّؤَالِ؟

قَالُوا: لَا وَاللهِ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ وَمَا رَأَى.

قَالَ: وَيْحَكُمْ! إِنَّ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ خُصُّوا مِنَ الْخَلْقِ بِمَا تَرَوْنَ مِنَ الْفَضْلِ وَإِنَّ صِغَرَ السِّنِّ فِيهِمْ لَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْكَمَالِ، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله افْتَتَحَ دَعْوَتَهُ بِدُعَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَبِلَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ وَحَكَمَ لَهُ بِهِ وَلَمْ يَدْعُ أَحَداً فِي سِنِّهِ غَيْرَهُ، وَبَايَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام وَهُمَا ابْنَا دُونِ السِّتِّ سِنِينَ وَلَمْ يُبَايِعْ صَبِيّاً غَيْرَهُمَا، أَوَلَا تَعْلَمُونَ مَا اخْتَصَّ اللهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؟

وَأَنَّهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ يَجْرِي لِآخِرِهِمْ مَا يَجْرِي لِأَوَّلِهِمْ.

فَقَالُوا: صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ نَهَضَ الْقَوْمُ.

الجوائز:

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَحْضَرَ النَّاسَ وَحَضَرَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَسَارَ الْقُوَّادُ وَالْحُجَّابُ وَالْخَاصَّةُ وَالْعُمَّالُ لِتَهْنِئَةِ الْمَأْمُونِ وَأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَأُخْرِجَتْ ثَلَاثَةُ أَطْبَاقٍ مِنَ الْفِضَّةِ فِيهَا بَنَادِقُ[1] مِسْكٍ وَزَعْفَرَانٍ مَعْجُونٍ، فِي أَجْوَافِ تِلْكَ الْبَنَادِقِ رِقَاعٌ مَكْتُوبَةٌ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ وَعَطَايَا سَنِيَّةٍ وَإِقْطَاعَاتٍ[2]، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِنَثْرِهَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ خَاصَّتِهِ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ وَقَعَ فِي يَدِهِ بُنْدُقَةٌ أَخْرَجَ الرُّقْعَةَ الَّتِي فِيهَا وَالْتَمَسَهُ فَأُطْلِقَ يَدُهُ لَهُ.

وَوُضِعَتِ الْبِدَرُ فَنَثَرَ مَا فِيهَا عَلَى الْقُوَّادِ وَغَيْرِهِم (من كبار الموظفين) وَانْصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ بِالْجَوَائِزِ وَالْعَطَايَا، وَتَقَدَّمَ الْمَأْمُونُ بِالصَّدَقَةِ عَلَى كَافَّةِ الْمَسَاكِينِ، وَلَمْ يَزَلْ مُكْرِماً لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مُعَظِّماً لِقَدْرِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ يُؤْثِرُهُ عَلَى وُلْدِهِ وَجَمَاعَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ[3].

وحينما تم زواج الإمام بابنة المأمون، وبقي في بغداد مدة غير قليلة ناعماً مُرفَّهاً يأتيه المسلمون، فينهلون من فيضه، ويستقون غمائمه، ما يغنيهم ويرويهم، بيد أنه لم يكن يرضيه التنعُّم في قصور العباسيين تاركاً أمور الشيعة والمسلمين الدينية وراءه ظِهْرِيّاً، وكما يبدو أنه إن لم يكن قد أكرهته الظروف بالمقام في بغداد، لما أقام فيها إلّا قليلاً.

(١) جمع بندقة، وهي شيء مدور يشبه الجوز.

(٢) كان الملوك يهبون لبعض الأفراد قطعاً كبيرة من الأراضي الأميرية، فكانت تسمى إقطاعاً.

(٣) الاحتجاج، ص ٢٢٧-٢٢٩ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٧٣-٧٩

يروي بعض أصحابه فيقول: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ بِبَغْدَادَ وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا الرَّجُلُ لَا يَرْجِعُ إِلَى مَوْطِنِهِ أَبَداً وَمَا أَعْرِفُ مَطْعَمَهُ، قَالَ: فَأَطْرَقَ رَأْسَهُ ثُمَّ رَفَعَهُ وَقَدِ اصْفَرَّ لَوْنُهُ فَقَالَ: «**يَا حُسَيْنُ خُبْزُ شَعِيرٍ وَمِلْحُ جَرِيشٍ فِي حَرَمِ رَسُولِ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا تَرَانِي فِيهَا**»(١).

إلى المدينة من جديد:

وسار إلى المدينة عن طريق الكوفة، فلما أن ورد الكوفة اجتمع إليه الشيعة، فاستقبلوه استقبالاً حافلاً، ثم ودَّعهم إلى مدينة جده، حيث بقي فيها سائر أيام حياته يواصل أداء مسؤولياته الخطيرة التي منها إنشاء مدرسة فكرية جامعة حتى وفاة المأمون العباسي.

بعد المأمون:

وأوصى المأمون إلى أخيه المعتصم العباسي ولبَّى دعوة ربه فمات في قرية من نواحي طرسوس، التي كانت من الحدود الفاصلة بين البلاد الإسلامية وبلاد الروم، وكانت قد اشتعلت فيها مناوشات وقد سار إليها الخليفة بنفسه حتى ظفر المسلمون.

وأوصى إليه بشأن العلويين بصورة خاصة، فقال مخاطباً أخاه المعتصم: هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مُسيئهم، وأقبل عليهم، ولا تترك صِلاتهم في كل سنة عن محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى.

في أواخر الصيف، ليلة الثاني عشر من رجب سنة ٢١٨هـ

---

(١) مختار الخرائج والجرائح، ص ٢٠٨.

تُـوُفِّيَ المأمون العباسي ودُفِنَ في ضاحية طرسـوس، فأخذ المعتصم أزمّة الحكم، وراح يُثبت حكمه بكل قدر مستطاع، ففكر في أن الإمام الجواد وهو صهر الخليفة الراحل وسـيد الشيعة وهم قـوة جبارة في الأمة، قد يُشكِّل خطراً ما علـى الدولة فأشـخصـه من المدينة إلى بغداد، لا لشيء إلّا لكي يكون الإمام تحت مراقبته الشخصية، ونزح الإمام للمرة الثانية إلى بغداد، وبقي فيها مبتعداً عن البلاط الملكي مشتغلاً بالشؤون العامة، وذلك في الفترة ما بين (٢٨ محرم الحرام سـنة ٢٢٠هـ و ٢٩ ذي القعدة الحرام من السنة نفسها) حيث وافته المنية بسم دُسَّ إليه من قبل السلطة بإشـارة مـن الخليفـة المعتصم بـالله، وقصة ذلك حسـبما رواهـا المؤلف القدير العياشي عن خادم ابن أبي داود وصاحب سره الذي كان يُسـمى (ونان)، وابن أبي داود هذا كان قاضياً شهيراً في بغداد، قال:

«رَجَـعَ ابْـنُ أَبِي دُوَادٍ ذَاتَ يَـوْمٍ مِـنْ عِنْـدِ الْمُعْتَصِـمِ وَهُـوَ مُغْتَمٌّ، فَقُلْـتُ لَهُ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِمَا كَانَ مِنْ هَذَا الْأَسْـوَدِ (أي أبي جعفر الجواد عليه السلام) بَـيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: قُلْتُ لَـهُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ سَارِقاً أَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالسَّرِقَةِ وَسَأَلَ الْخَلِيفَةَ تَطْهِيرَهُ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ، فَجَمَـعَ لِذَلِكَ الْفُقَهَاءَ فِي مَجْلِسِـهِ وَقَـدْ أَحْضَرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، فَسَـأَلَنَا عَنِ الْقَطْـعِ فِي أَيِّ مَوْضِـعٍ يَجِـبُ أَنْ يُقْطَـعَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ مِنَ الْكُرْسُـوعِ (أي المفصل بين الكف والذراع)، قَالَ: قُلْتُ: لِأَنَّ الْيَدَ هِيَ الْأَصَابِعُ وَالْكَفُّ إِلَى الْكُرْسُـوعِ لِقَـوْلِ اللهِ فِي التَّيَمُّـمِ ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[1].

وَاتَّفَقَ مَعِي عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يَجِبُ الْقَطْعُ مِنَ الْمِرْفَقِ،

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

قَالَ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: لِأَنَّ اللهَ لَمَّا قَالَ ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ حَدَّ الْيَدِ هُوَ الْمِرْفَقُ. فَالْتَفَتَ المعتصم إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا يَا أَبَا جَعْفَرٍ؟ فَقَالَ: قَدْ تَكَلَّمَ الْقَوْمُ فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: دَعْنِي مِمَّا تَكَلَّمُوا بِهِ، أَيُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ؟ قَالَ: أَعْفِنِي عَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللهِ لَمَّا أَخْبَرْتَ بِمَا عِنْدَكَ فِيهِ، فَقَالَ: أَمَّا إِذَا أَقْسَمْتَ عَلَيَّ بِاللهِ إِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُمْ أَخْطَؤُوا فِيهِ السُّنَّةَ، فَإِنَّ الْقَطْعَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَفْصِلِ أُصُولِ الْأَصَابِعِ فَيُتْرَكُ الْكَفُّ. قَالَ: وَمَا الْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ؟

قَالَ: قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: «السُّجُودُ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ» فَإِذَا قُطِعَتْ يَدُهُ مِنَ الْكُرْسُوعِ أَوِ الْمِرْفَقِ لَمْ يَبْقَ لَهُ يَدٌ يَسْجُدُ عَلَيْهَا، وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ يَعْنِي بِهِ هَذَا الْأَعْضَاءَ السَّبْعَةَ الَّتِي يُسْجَدُ عَلَيْهَا فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً وَمَا كَانَ للهِ لَمْ يُقْطَعْ.

قَالَ: فَأَعْجَبَ الْمُعْتَصِمَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ مِنْ مَفْصِلِ الْأَصَابِعِ دُونَ الْكَفِّ.

(قَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ) قَامَتْ قِيَامَتِي وَتَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُ حَيّاً، (قَالَ): ثم صِرْتُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ بَعْدَ ثَالِثَةٍ فَقُلْتُ: إِنَّ نَصِيحَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ وَاجِبَةٌ وَأَنَا أُكَلِّمُهُ بِمَا أَعْلَمُ أَنِّي أَدْخُلُ بِهِ النَّارَ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: إِذَا جَمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَجْلِسِهِ فُقَهَاءَ رَعِيَّتِهِ وَعُلَمَاءَهُمْ لِأَمْرٍ وَاقِعٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْحُكْمِ فِيهِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ أَهْلُ بَيْتِهِ وَقُوَّادُهُ وَوُزَرَاؤُهُ وَكُتَّابُهُ، وَقَدْ تَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ بَابِهِ، ثُمَّ يَتْرُكُ أَقَاوِيلَهُمْ كُلَّهُمْ لِقَوْلِ رَجُلٍ يَقُولُ شَطْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِإِمَامَتِهِ وَيَدَّعُونَ أَنَّهُ أَوْلَى مِنْهُ بِمَقَامِهِ ثُمَّ يَحْكُمُ بِحُكْمِهِ دُونَ حُكْمِ الْفُقَهَاءِ!! (قَالَ) فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ

وَانْتَبِهَ لِمَا نَبَّهْتُهُ لَهُ وَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ عَنْ نَصِيحَتِكَ خَيْراً، قَالَ: فَأَمَرَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ فُلَاناً -بالطبع، ذكر اسماً حذفه بعض المؤلفين أو الرواة- مِنْ كُتَّابِ وُزَرَائِهِ بِأَنْ يَدْعُوَ الجواد عليه السلام إِلَى مَنْزِلِهِ فَدَعَاهُ فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهُ وَقَالَ: **قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَا أَحْضُرُ مَجَالِسَكُمْ**، فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا أَدْعُوكَ إِلَى الطَّعَامِ وَأُحِبُّ أَنْ تَطَأَ ثِيَابِي وَتَدْخُلَ مَنْزِلِي فَأَتَبَرَّكَ بِذَلِكَ، فَقَدْ أَحَبَّ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ مِنْ وُزَرَاءِ الْخَلِيفَةِ لِقَاءَكَ، فَصَارَ إِلَيْهِ (ودسَّ إليه السم في الطعام) فَلَمَّا طَعِمَ عليه السلام أَحَسَّ السَّمَّ، فَدَعَا بِدَابَّتِهِ فَسَأَلَهُ رَبُّ الْمَنْزِلِ أَنْ يُقِيمَ، قَالَ: **خُرُوجِي مِنْ دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ**، فَلَمْ يَزَلْ يَوْمُهُ ذَلِكَ وَلَيْلُهُ فِي خِلْفَةٍ حَتَّى قُبِضَ عليه السلام»[1].

آه، إمام الحق، هذا جزاؤك بعد كل هذا أنك لم تَرُمْ لهم إلَّا الخير، ولم يبغوا لك إلَّا الشر فسقياً لك ورعياً، وتعساً لهم وويلاً، غدرٌ والله ومكرٌ والله أن يطعموك السم وأنت في ربيع أيامك، ولكن لك في الأولين من آبائك أسوة حسنة، ولهم في الأولين من آبائهم أسوة سيئة فعليك السلام وعليهم اللعنة والعذاب.

نعم، انطفأ ذلك المشعل الوهَّاج وخلَّف وراءه الأمة الإسلامية تجرُّ حسراتها تندبه كالأرض تنتدب بعد مغيب الشمس.

لقد كان الإمام الجواد عليه السلام أحدث الأئمة الاثني عشر سنّاً -باستثناء الإمام الحجة عليه السلام- حين انتقلت إليه الخلافة الروحية في آخر صفر من سنة ٢٠٢هـ وهو ابن سبع وكان أحدثهم سنّاً على الإطلاق، فحينما استشهد في آخر (ذي القعدة سنة ٢٢٠ من الهجرة)، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين ربيعاً، كما كانت مدة إمامته ثماني عشرة سنة.

(١) بحار الأنوار، ج٥٠، ص٥ - ٧.

وضجت بغداد بوفاة ابن الرضا عليه السلام، وذهبت الشكوك تحوم حول البلاط، وكادت تتفجر ثورة عارمة على الحكم الجائر. وصلى عليه ابن المعتصم وولي عهده الواثق بالله، كما صلى عليه نجله الكريم الإمام علي بن محمد النقي عليه السلام، ودفن في مرقده في الكاظمية حيث لا يزال يُقصد ويُزار، فعلى محمد بن علي الجواد عليه السلام التحية والسلام.

وجاء في بعض الأحاديث عن وفاته عليه السلام: «إِنَّ الْمُعْتَصِمَ دَعَا جَمَاعَةً مِنْ وُزَرَائِهِ فَقَالَ: اشْهَدُوا لِي عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى زُوراً، وَاكْتُبُوا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ بِثَوْرَةٍ يُفَجِّرُهَا مَعَ تَابِعِيهِ مِنَ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ، ذلك لكي يسهل عليه أن يُلقي به في السجن أو يقتله قتلاً.

فلما أحضر الإمام التفت المعتصم إليه قائلاً: إِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَخْرُجَ عَلَيَّ، فَقَالَ الامام: وَاللهِ مَا فَعَلْتُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: إِنَّ فُلَاناً وَفُلَاناً شَهِدُوا عَلَيْكَ، فَأُحْضِرُوا فَقَالُوا: نَعَمْ هَذِهِ الْكُتُبَ أَخَذْنَاهَا مِنْ بَعْضِ غِلْمَانِكَ، قَالَ وَكَانَ جَالِساً فِي بَهْوٍ (قاعة في مقدم الدار) فَرَفَعَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يَدَهُ وَقَالَ: **اللهُمَّ إِنْ كَانُوا كَذَبُوا عَلَيَّ فَخُذْهُمْ.**

قَالَ الراوي: فَنَظَرْنَا إِلَى ذَلِكَ الْبَهْوِ كَيْفَ يَرْجُفُ وَيَذْهَبُ وَيَجِيءُ وَكُلَّمَا قَامَ وَاحِدٌ وَقَعَ.

فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ! إِنِّي تَائِبٌ مِمَّا قُلْتُ فَادْعُ رَبَّكَ أَنْ يُسَكِّنَهُ، فَقَالَ: **اللهُمَّ سَكِّنْهُ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ وَأَعْدَائِي،** فَسَكَنَ»[1].

(١) مختار الخرائج والجرائح، ص ٢٣٧.

الفصل الثالث

الإمام وعصره

عاصر الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام (1)، خليفتين عباسيين. والخليفة الذي عاش الإمام في عهده ظروفاً هادئةً، هو المأمون العباسي.

ومعروف أن المأمون قام بالتقرُّب إلى العلويين وإلى سيدهم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بسبب الضغط الجماهيري الذي تعرَّض له النظام العباسي حيث تميَّز عهده بسلسلة من الثورات والانتفاضات في كافة أرجاء الدولة الإسلامية.

ويقول بعض المؤرخين: إن المأمون العباسي كان شيعيًا، وكان يذهب إلى أحقية أولاد الإمام علي عليه السلام بالخلافة، وإلى إمامة الإمام علي عليه السلام، ولكننا لا نرى ذلك في المأمون العباسي لأن ذلك شرف لا يستحقه خليفة غاصب.

يبقى أن نعرف أنه بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام على يد المأمون، أصبح محمد بن علي الجواد عليه السلام الإمام الشرعي للرساليين، ومعروف أن الإمام الجواد عليه السلام صاهر المأمون العباسي.

(1) اقتبسنا هذا الفصل من كتاب التاريخ الإسلامي للمؤلف، تحت عنوان الإمام الجواد وانتشار الحركة الرسالية.

لماذا صاهر الإمام الخليفة؟

ونتساءل: لماذا أقدم الإمام الجواد عليه السلام على الزواج من بنت المأمون العباسي؟

ولكي نعرف الإجابة عن مثل هذا السؤال لابدّ أن نُلقي نظرةً على الحركة الرسالية التي كان الأئمة عليهم السلام يقودونها ويُوسّعونها، في عصر الإمام الرضا ونجله الإمام الجواد عليه السلام.

في عهد المأمون تحوَّلت الحركة الرسالية إلى حركة تستطيع أن تتداخل مع النظام وتستفيد من مظلته أو حتى تكوّن ما يُسمى اليومْ بحكومة ائتلافية، مع أي دولة من الدول، والأئمة عليهم السلام كانوا يقبلون بالحماية من قبل الدولة دون أن يفقدوا رسالتهم.

والأئمة المعصومون عليهم السلام لم يحلوا حركتهم، أي أنهم لم يقبلوا بالخلافة ولم يشتركوا فيها، والدليل على ذلك موقف الإمام الرضا عليه السلام من ولاية العهد حيث قبلها بشرط عدم التدخل في شؤون النظام.

أما الإمام الجواد عليه السلام فحينما خطب ابنة المأمون وتزوجها، أصبح صهر الخليفة واستفاد من ذلك لأجل رسالته، فماذا يعني أن يصبح شخص صهراً للخليفة؟

إن من يدخل البلاط يمكن أن يصير والياً على منطقة، أو حاكماً على بلد، أو قاضي القضاة لا أقل، ولكن الإمام الجواد لم يفعل شيئاً من ذلك، بل أخذ بيد زوجته وذهب إلى المدينة وبقي هناك حتى مات المأمون العباسي.

فماذا كسب الإمام عليه السلام من هذه المصاهرة؟

كسب الإمام الجواد عليه السلام بهذا العمل أمرين:

أولاً: منع المأمون من أن يقوم بعملية اغتياله، وذلك بقبوله الزواج من ابنته.

ثانياً: جعل مخالب السلطة وأنيابها في قفص الحركة الرسالية، وذلك أن المأمون ما كان ليجرؤ بعد ذلك على أن يقوم بالفتك برجالات الحركة ومجموعاتها.

ولقد كان هذا الأسلوب متبعاً في كثير من عصور الأئمة عليهم السلام، وخير شاهد على ذلك قصة علي بن يقطين بن موسى البغدادي الذي كان بمثابة مستشار للخليفة المهدي العباسي، ثم صار في رتبة الوزير لهارون الرشيد، وعندما حصل على هذا المنصب وكان اتجاهه رساليًّا، جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: يا بن رسول الله! أنا صرت عوناً لهذا الطاغية. وأراد أن يستقيل، ومعروف أن الذي يحصل على هذا المركز ذلك اليوم يسيطر على مرافق أكبر دولة في العالم.

فطلب منه الإمام أن يظل في عمله، ويستمر في أداء مهامه الرسالية ويبقى في بلاط هارون، وعاود الطلب من الإمام أن يأذن له بترك السلطة إلّا أن الإمام لم يأذن له، ولقد كانت أعماله كبيرة بالنسبة للحركة، حتى أن الإمام أبا الحسن عليه السلام قال فيه عندما دخل عليه داود الرقي، في يوم النحر: «مَا عَرَضَ فِيْ قَلْبِيْ أَحَدٌ وَأَنَا عَلَىْ الْمُوْقِفِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ يَقْطِيْنٍ، فَإِنَّهُ مَا زَالَ مَعِيْ وَمَا فَارَقَنِيْ حَتَّىْ أَفْضَتْ»[1].

(١) جامع الرواة، العلامة الأردبيلي، ج ١، ص ٦٠٩.

عصر المعتصم العباسي:

والإمام الجواد عليه السلام عاصر خليفة من الخلفاء الذين أثّروا تأثيراً مباشراً على زوال الدولة العباسية، وهو المعتصم العباسي.

المعتصم العباسي كان ابن أمة تركية، فمال إلى أخواله فكان يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدي مواليهم، فاجتمع له منهم أربعة آلاف، وألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلي المذهبة وأبانهم عن سائر الجنود(1).

ثم وسمهم رتباً قيادية في الجيش حتى أنه ثارت ثائرة العسكريين العرب في الجيش، فلقد حاول «عجيف» أن يقلب الحكم على المعتصم ليولّي العباس بن المأمون، ولكن هذه المحاولة أخفقت وقتله المعتصم.

والأتراك حينما جاؤوا إلى البلاد الإسلامية أخذوا شيئاً فشيئاً يسيطرون على الحكم ويُجرِّدون الخلفاء من سلطتهم الحقيقية، وأخذوا يحدثون الانقلابات العسكرية (كما نسميها الآن).

حتى وصل بهم الأمر إلى أنه إذا مال عنهم خليفة عباسي، فإنهم كانوا يقتلونه غيلة، ثم ينصبون رجلاً آخر من البيت العباسي مكانه، فابتداءً من المتوكل إلى المستعين إلى المهتدي وانتهاءً بالمقتدر، كل هؤلاء قتلوا بواسطة القادة العسكريين الأتراك.

وهكذا كانوا يقومون بالخلع والقتل لأي خليفة لم تتجاوب أهواؤه مع أهوائهم، وليس ذلك لشيء في تركيبة العنصر التركي، وإنما نتيجة للحالة المتردية التي وصل إليها المجتمع الإسلامي من الانحلال

(1) المسعودي، ج ٣، ص ٤٦٥.

والفساد الخلقي الشامل.

والإمام الجواد عليه السلام استفاد من هذا الوضع في تغذية الحركات الرسالية التي كانت تضع جنينها للمستقبل، وفي هذا الوقت كانت الثورة التي قام بها محمد بن القاسم بن علي الطالبي تقلق السلطة ولا تدعها تعيش في هدوء وسكينة.

نموذج من الثورة العلوية:

لقد كانت ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أبرز ثورة في عهد الإمام الجواد عليه السلام.

كان محمد بن القاسم جليل القدر إذا ما قرأنا يوميات جهاده. كانت العامة تُلقِّبه بالصوفي، لأنه كان يُدمن لبس الصوف الأبيض الخشن، وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد.

كان قد ذهب إلى (مرو) في مقاطعة خراسان، وكان معه من الكوفيين بضعة رجال، وذلك بعد أن رحل من الكوفة، وكان قبل ذلك قد خرج إلى ناحية الرقة، ومعه جماعة من وجوه الزيدية، منهم يحيى بن الحسن بن الفرات، وعبّاد بن يعقوب الرواجني، والزيدية كانت تُشكِّل القاعدة للكثير من الثورات.

روى إبراهيم بن عبد العطّار: «كنا معه، فتفرقنا في الناس ندعوهم إليه، فلم نلبث إلّا يسيراً حتى استجاب له أربعون ألفاً، وأخذنا عليهم البيعة، وكنا أنزلناه في رستاق من رساتيق مرو، وأهله شيعة كلهم، فأحلوه في قلعة لا يبلغها الطير في جبل حريز»[1].

(١) مقاتل الطالبيين، ج ١، ص ١٤٩.

ومـرة سـمع بـكاء في (مرو) فندب أحـد أصحابـه ل رى ما هذا البكاء، فجاءه بخبر أن أحد الذين بايعوه قد كان غصب شـيئاً من أحد الرجال، فأصلح بينهما، فقال محمد لصاحبه إبراهيم: «يا إبراهيم! أبمثل هذا ينصر دين الله؟ ثم قال: فرقوا الناس عني حتى أرى رأيي».

فانتخب الصالحين من الذين بايعوه ثم سار بهم.

وهـذا نموذج من طبيعة الثورات الرسـالية إذ إنها لم تكن تبيح أية وسيلة في سبيل الوصول إلى الهدف، بل مثلما يكون الهدف هو إقامة حكم الله عزّ وجلّ، يجب أن تكون الوسيلة أيضاً مرضية من قبل الله تعالى.

وهذا كان يربي المجتمع على عشـق المثل العليا، والمبادئ السامية. وبعدما نقّي أصحابه، ساروا إلى الطالقان.

ويروي إبراهيم صاحبه:

«ورحل محمد بن القاسـم من وقتـه إلى الطالقان، وبينها وبين مرو أربعين فرسخاً، فنزلها وتفرقنا ندعو الناس فاجتمع عليه عالم، وجئنا إليه، فقلنا له: إن أتممت أمرك، وخرجت فنابذت القوم، رجونا أن ينصرك الله، فـإذا ظفرت اخترت حينئذ من ترضاه من جنـدك، وإن فعلت كما فعلت بمـرو -يقصد اختيـار الصالحين فقط- أخذ عبد الله بـن طاهر يعقبك»، وهكـذا أراد صاحبه (إبراهيم) أن يثنيه عن إبعاد الذين ليسـوا بملتزمين جيداً عن جيش الثورة. ولكن محمد بن القاسم أبى ذلك.

ودخـل محمد بن القاسـم مع عبد الله بن طاهـر في حروب كثيرة وكان يلحق به شرّ الهزائم.

ومـرة هـدأت صولات الحرب بينهما، فسـارع عبـد الله بن طاهر

بإرسـال كل جيوشه مقسـمة في فرق ضمن خطة ماكرة جدًا، وقال ابن طاهر لقائد جيوشه وهو إبراهيم بن غسان بن فرج العودي:

«قـد جرَّدتُ لـك ألف فـارس من نخبة عسـكري، وأمـرتُ أن يحمـل معك مائة ألف درهم تصرفها فيـما تحتاج إلى صرفها من أمورك، وخـذ من خيلي ثلاثة أفراس نجيبة معك تنتقـل عليها، وخذ بين يديك دليلاً قد رسـمته لصحبتك فادفع إليـه من المال ألف درهم، واحمله على فرس من الثلاثة فليركض بين يديك، فإذا صرت على فرسخ واحد من (نسـا)، (وهـي المدينة التـي يتواجد فيهـا محمد بن القاسـم)، فافضض الكتـاب، واقـرأه واعمـل بما فيـه ولا تغادر منـه حرفـاً، ولا تخالف مما رسـمته شـيئاً. واعلم أن لي عيناً في جملة من صحبك يخبرني بأنفاسـك، فاحذر ثم احذر، وأنت أعلم».

وهـذا يُبيِّن مدى خوف ابن طاهر مـن أن يكون هذا القائد يميل إلى صف محمد بن القاسم، فلقد كان ذلك شيئاً طبيعيًا لأن نفوس الناس كانت مع الحركة الثورية، ولكن السـلطات كانت تجلب وتسخّر الناس في ضرب الحركـة الرسـالية مرةً بالتهديد ومرةً بالإغراء ومرةً بالإفسـاد ومـرات بأسـاليبها المختلفـة، حتى أن ابـن طاهر يقول: جعلـت عيوناً عليك يرقبون أنفاسك.

فسار قائده إلى (نسا) وقبل أن يصل بفرسخ فتح كتاب ابن طاهر وإذا فيه الخطة كاملة، والبيت الذي يسكن فيه محمد بن القاسم، وصاحبه أبو تراب، ويأمره فيه أن يسـتوثقهما بالحديد، استيثاقاً شديداً، وأن يُنفذ خاتمـه مع خاتم محمد بن القاسـم أول ما يظفر به، وقبل أن يعود خطوة واحدة لكي يطمئن، وعلى الذي يرسلهما معه أن يركض بهما ركضاً، ثم

يكتب إليه شرح ما حدث. «وكن على غاية التحرز والتحفظ والتيقظ من أمره حتى تصير به وصاحبه إلى حضرتي».

نجحت الخطة وحمل محمد بن القاسم مع صاحبه أبي تراب إلى ابن طاهر في نيسابور، فجاء ابن طاهر ليراهما فقال لقائده:

«ويحك يا إبراهيم! أما خفت الله في فعلك - يقصد القيود الثقيلة جدًّا التي وضعها على محمد وصاحبه - أتُقيِّد هذا الرجل الصالح بمثل هذا القيد الثقيل؟».

فقال إبراهيم العودي (قائده): «أيها الأمير! خوفك أنساني خوف الله، ووعدك الذي قدمته إليّ أذهل عقلي عما سواه».

وكانا يتكلمان من فوق سطح يُطل على الغرفة المسجون بها محمد بن القاسم في نيسابور.

فقال ابن طاهر: خفف هذا الحديد كله عنه، وقيِّده بقيد خفيف في حلقته رطل وليكن عموده طويلاً، وحلقتاه واسعتين ليخطو فيه.

وكان عبد الله بن طاهر يخرج من اصطبله بغالاً عليها القباب ليوهم الناس أنه قد أخرجه، ثم يردّها حتى استتر بنيسابور سلّه في جوف الليل، وخرج به مع إبراهيم العودي ووافى به الري، وقد أمره عبد الله بن طاهر أن يفعل به كما فعل هو، يخرج في كل ثلاث ليال ومعه بغل عليه قبة، ومعه جيش حتى يجوز الري بفرسخ، ثم يعود إلى أن يمكنه سلّه، ففعل ذلك خوفاً من أن يغلب عليه لكثرة من أجاب محمد بن القاسم بالبيعة له، حتى أخرجه من الري ولم يعلم به أحد، ثم اتبعه حتى أورده بغداد على المعتصم.

وقد سمع المعتصم بمسير محمد إلى بغداد، فأرسل إلى طاهر العودي: أن انزع العمامة من عليه واجعله حاسراً وانزع رداء قبة البغل ليكون على البغل حاسراً، ثم أدخله بغداد.

وكان يريد بذلك تعذيب محمد نفسيًّا والحط من كرامته، وقد ازدحم الناس ازدحاماً شديداً على الطرقات حين إدخال محمد بن القاسم إلى بغداد، ثم أُدخل على المعتصم في مجلس اللهو والشراب.

وقيل: وجعلت الفراغنة يحملون على العامة ويرمونهم بالقذر والمعتصم يضحك، ومحمد بن القاسم يسبّح ويستغفر الله ويُحرّك شفتيه يدعو عليهم، والمعتصم جالس يشرب، ومحمد واقف إلى أن انتهى من لعبه فأمر بسجنه.

وسرعان ما دبّر محمد بن القاسم حيلة ذكية للهروب، ثم توارى عن الأنظار في بغداد ثم إلى واسط، وقد شَدَّ وسطه للوهن الذي أصاب فقار ظهره عند عملية هروبه. وظل محمد مختفياً بعد ذلك إلى نهاية عهدَي المعتصم ومحمد الواثق، ثم بعض أيام المتوكل، وقيل: إنه أُخذ إليه فَحُمِلَ إلى السجن حتى مات فيه.

ولكن ماذا فعل خلال فترة تواريه عن الأنظار وهي ليست بالفترة القليلة؟ هذا ما أجابت عنه الثورات العديدة التي قامت بعد ذلك في عهد المتوكل، والمستعين وما بعده من الخلفاء، التي لم تدع الخليفة يلعب ويلهو براحة.

وفي واسط سكن محمد بيتاً يعود إلى أم ابن عمه علي بن الحسن بن علي بن عمر ابن الإمام زين العابدين عليه السلام وكانت عجوزاً مقعدة، فلما

نظرت إليه وثبت فرحاً وقالت: «محمد والله، فدتك نفسي وأهلي، الحمد لله على سلامتك» فقامت على رجلها وما قامت قبل ذلك بسنين.

وقال إبراهيم العودي، قائد جيوش ابن طاهر يصف محمداً:

ما رأيت قط أشدّ اجتهاداً منه، ولا أعف، ولا أكثر ذكراً لله عزّ وجلّ مع شدة نفس، واجتماع وما أظهر من جزع ولا انكسار ولا خضوع في الشدائد التي مرت به، وإنهم ما رأوه قط مازحاً ولا هازلاً ولا ضاحكاً إلا مرة واحدة، فإنهم لما انحدروا من عقبة حلوان أراد الركوب، فجاء بعض أصحاب إبراهيم بن غسان العودي، فطأطأ له ظهره، حتى ركب في المحمل على البغل، فلما استوى على المحمل قال للذي علا ظهره مازحاً: «أتأخذ أرزاق بني العباس وتخدم بني علي بن أبي طالب؟ وتبسم».

وقال: عرضوا على محمد بن القاسم كل شيء نفيس من مال وجواهر وغير ذلك، فلم يقبل إلّا مصحفاً جامعاً كان لابن طاهر فلمّا قبله، سُرَّ عبد الله بن طاهر بذلك، وإنما قبله لأنه كان يدرس فيه.

ووجود شخصية ثورية مثل محمد وثورة مثل ثورته تدلان على أن الحركة الرسالية لم تتوقف يوماً ما عن مسيرتها، وأنها لا يمكن أن تميل عن استقامتها التي كانت معهودة بها، وهاتان ميزتان موجودتان في طول الثورات التي قامت بها الحركة الرسالية، بجانب وضع السلطة المتأزم.

ومن عهد الإمام الجواد عليه السلام بدأت مسيرة ذات كيفية خاصة للثورات وطبيعتها، ووضع الحركة الرسالية في أيام الإمام الجواد كان

جيـداً، وإذا كان أحرج وقت مرّ على الحركة الرسـالية هو في أيام الإمام موسـى بـن جعفر عليه السلام، فإن أحسـن الأوقـات كانت في عهـد الإمام الجواد عليه السلام، وربما لذلك جاء في الحديث المأثور عن ابن اسباط وعبّاد ابن إسماعيل:

«إنَّا لَعِنْدَ الرِّضا عليه السلام بِمِنى إذْ جِيءَ بِأبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قُلْنَا: هَذَا المَوْلُـودُ المُبَارَكُ؟ قَـالَ: **نَعَمْ، هَذَا المَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِي الإِسْـلامِ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْهُ**»(١).

وروى أبو يحيى الصنعاني قال: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضا عليه السلام فَجِيءَ بِابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ صَغِيرٌ فَقَالَ:

«**هَذَا المَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ مَوْلُودٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلَى شِيعَتِنَا مِنْه**».

والبركـة التـي حصلـت للحركة الرسـالية بولادة الإمـام الجواد عليه السلام ليسـت في ارتفاع الإرهاب والاختناق السـياسي عنهم فقط، بل وأهـم من ذلك في تجذر الرسالة عقيدةً وفكراً وسياسةً وفقهاً.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٣.

الفصل الرابع

خُلُقُهُ وَفَضائِلُهُ
وَكِلماتُهُ المُضِيئَةُ

ألف: الجواد الكريم:

كان يُلقَّب إمامنا التاسع بالجواد لما كان يشتهر به من الجود الذي فاض فغمر السهل والجبل كما يغمر الضوء السهول.

وإليك قصصاً من جوده:

– لقد كان برنامجهُ العمليّ، كتابٌ وفد إليه من والده من خراسان وله زهاء ست سنوات من العمر، ومضمون الكتاب ما يلي:

«فَأَسْأَلُكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ: لا يَكُنْ مَدْخَلُكَ وَمَخْرَجُكَ إِلَّا مِنَ الْبَابِ الْكَبِيرِ، وَإِذَا رَكِبْتَ فَلْيَكُنْ مَعَكَ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، ثُمَّ لا يَسْأَلُكَ أَحَدٌ إِلَّا أَعْطَيْتَهُ، وَمَنْ سَأَلَكَ مِنْ عُمُومَتِكَ أَنْ تَبَرَّهُ فَلا تُعْطِهِ أَقَلَّ مِنْ خَمْسِينَ دِينَاراً وَالْكَثِيرُ إِلَيْكَ، وَمَنْ سَأَلَكَ مِنْ عَمَّاتِكَ فَلا تُعْطِهَا أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ دِينَاراً وَالْكَثِيرُ إِلَيْكَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَكَ اللهُ، فَأَنْفِقْ وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْتَاراً»[1].

– وَرُوِيَ أَنَّهُ حُمِلَ له حِمْلُ بَزٍّ لَهُ قِيمَةٌ كَثِيرَةٌ، فَسُلَّ فِي الطَّرِيقِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الَّذِي حَمَلَهُ يُعَرِّفُهُ الْخَبَرَ، فَوَقَّعَ بِخَطِّهِ: إِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا مِنْ مَوَاهِبِ

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٢.

اللهِ الْهَنِيئَةِ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، يُمَتِّعُ بِمَا مَتَّعَ مِنْهَا فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ، وَيَأْخُذُ مَا أَخَذَ مِنْهَا فِي أَجْرٍ وَحِسْبَةٍ، فَمَنْ غَلَبَ جَزَعُهُ عَلَى صَبْرِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ(١).

- ودخل عليه بعض أصحابه الذي كان للإمام عليه دين يقول له: جُعِلْتُ فِدَاكَ! اجْعَلْنِي مِنْ عَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ فِي حِلٍّ؛ فَإِنِّي أَنْفَقْتُهَا. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَنْتَ فِي حِلٍّ، الحديث(٢).

باء: زهده وتقواه:

- يقول بعض الرواة: حَجَجْتُ أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عليه السلام، وجئت إليه في المدينة، فَدَخَلْتُ الدار فَإِذَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام قَائِمٌ عَلَى دُكَّانٍ لَمْ يَكُنْ فُرِشَ لَهُ مَا يَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ غُلَامٌ بِمُصَلًّى فَأَلْقَاهُ لَهُ فَجَلَسَ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ تَهَيَّبْتُهُ وَدَهِشْتُ، فَذَهَبْتُ لِأَصْعَدَ الدُّكَّانَ مِنْ غَيْرِ دَرَجَةٍ فَأَشَارَ إِلَى مَوْضِعِ الدَّرَجَةِ، فَصَعِدْتُ وَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَمَدَّ إِلَيَّ يَدَهُ فَأَخَذْتُهَا وَقَبَّلْتُهَا وَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَأَقْعَدَنِي بِيَدِهِ فَأَمْسَكْتُ يَدَهُ مِمَّا دَخَلَنِي مِنَ الدَّهَشِ فَتَرَكَهَا فِي يَدِي، فَلَمَّا سَكَنْتُ خَلَّيْتُهَا(٣).

- واستقبل الناس في حفلة أقيمت تكريماً له أيام الحج، وقد حضرها من فقهاء العراق ومصر والحجاز جمع غفير استقبلهم بقميصين وعمامة بذؤابتين ونعلين.

---

(١) تحف العقول، ص ٣٣٩.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٥.
(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٦.

- وينقل عن أبي هاشم قوله: إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَعْطَانِي ثَلاثَمِائَةِ دِينَارٍ فِي صُرَّةٍ وَأَمَرَنِي أَنْ أَحْمِلَهَا إِلَى بَعْضِ بَنِي عَمِّهِ، وَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ دُلَّنِي عَلَى مَنْ أَشْتَرِي بِهَا مِنْهُ مَتَاعاً فَدُلَّهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بِالدَّنَانِيرِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا هَاشِمٍ! دُلَّنِي عَلَى حَرِيفٍ يَشْتَرِي بِهَا مَتَاعاً، فَفَعَلْتُ[1].

- وعن أحد أصحابه الذي كان يُدعى (ابن حديد) قال: خَرَجْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ حُجَّاجاً فَقُطِعَ عَلَيْنَا الطَّرِيقُ، فَلَمَّا دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ لَقِيتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَأَتَيْتُهُ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي أَصَابَنَا فَأَمَرَ لِي بِكِسْوَةٍ وَأَعْطَانِي دَنَانِيرَ، وَقَالَ: **فَرِّقْهَا عَلَى أَصْحَابِكَ عَلَى قَدْرِ مَا ذَهَبَ**. فَقَسَمْتُهَا بَيْنَهُمْ فَإِذَا هِيَ عَلَى قَدْرِ مَا ذَهَبَ مِنْهُمْ لَا أَقَلَّ وَلَا أَكْثَرَ[2].

- وقال بعضهم: جِئْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام يَوْمَ عِيدٍ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ضِيقَ الْمَعَاشِ، فَرَفَعَ الْمُصَلَّى وَأَخَذَ مِنَ التُّرَابِ سَبِيكَةً مِنْ ذَهَبٍ فَأَعْطَانِيهَا فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى السُّوقِ فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ مِثْقَالاً[3].

- وقال عمر بن الريّان: احْتَالَ الْمَأْمُونُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام «لكي يهوي به مزالق الفساد فينقص من كرامته وهيبته لدى الناس جميعاً»، فأحتال بِكُلِّ حِيلَةٍ فَلَمْ يُمْكِنْهُ فِيهِ شَيْءٌ، فَلَمَّا اعْتَلَّ وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ عَلَيْهِ ابْنَتَهُ دَفَعَ إِلَيَّ مِائَةَ وَصِيفَةٍ مِنْ أَجْمَلِ مَا يَكُنَّ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جَاماً فِيهِ جَوْهَرٌ يَسْتَقْبِلُونَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام إِذَا قَعَدَ فِي مَوْضِعِ الْأَخْتَانِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِنَّ. وَكَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مُخَارِقٌ صَاحِبُ صَوْتٍ وَعُودٍ وَضَرْبٍ طَوِيلُ اللِّحْيَةِ، فَدَعَاهُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ كَانَ فِي

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٤١.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٤٤.
(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٤٩

شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَأَنَا أَكْفِيكَ أَمْرَهُ، فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَشَهِقَ مُخَارِقٌ شَهْقَةً اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الدَّارِ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِعُودِهِ وَيُغَنِّي، فَلَمَّا فَعَلَ سَاعَةً وَإِذَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَمِيناً وَلَا شِمَالاً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا ذَا الْعُثْنُونِ (أي اللحية) قَالَ: فَسَقَطَ الْمِضْرَابُ مِنْ يَدِهِ وَالْعُودُ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِيَدِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ[1].

- وجاء بعض أصحاب أبيه، وقد كان حديثاً في السن، وحمل معه شيئاً مما يلعب به الأطفال، فيقول: لما جئته ووقفت أمامه مسلّماً لم يأذن لي بالجلوس، فرميت بما كان معي بين يديه فغضب علي وقال: **مَا لِهَذَا خُلِقْنَا**.

جيم: علمه وثقافته:

لقد سبق الحديث عن علم الأوصياء عليهم السلام في كتابي الخاص بحياة الإمام جعفر الصادق ناشر علوم آل البيت ومبلغها إلى الشرق والغرب، وسبق بيان معنى علم الأوصياء بالمغيبات، ومع ذلك فلا أجد بُدًّا من أن أبحث ها هنا عن علم الإمام الجواد الغزير، وثقافته التي نبعت عن قلب مُلهم، وفؤاد مُفعم.

أقول: لقد كثر في الأحاديث إنباؤه عليه السلام الناس بما يجول في خاطرهم وبما يأتي عليهم مستقبلاً، ولا يعني ذلك أن الأئمة عليهم السلام يعلمون الغيب، وإنما يعني أنهم عليهم السلام متصلون بالله سبحانه وتعالى عن طريق الإلهام أو عن طريق النبي صلى الله عليه وآله، فيستقون معارفهم بشكل مباشر في حين يستقي سائر البشر معارفهم عبر الحواس والتجارب مثلاً.

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٩٦.

وإذا أثبتت التجارب الحديثة وجود الحس السادس عند بعض الأفراد، سهل علينا أن نعتقد بأن شيئاً ما يوجد في بعض الأشخاص الذين يشاء الله لهم ذلك، أضف إلى ذلك أن الإيمان بقدرة الله واستطاعته على أن يفعل كل شيء دون أي استثناء، يحدو بالفرد إلى تقبُّل كل ممكن إذا ثبت أن الله قد أراده.

ورُوي أن والي مكة والمدينة (فرج الرغجي)، الذي كان من المعارضين لآل البيت، قال مرة لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ شِيعَتَكَ تَدَّعِي أَنَّكَ تَعْلَمُ كُلَّ مَاءٍ فِي دِجْلَةَ وَوَزْنَهُ، وَكُنَّا عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ، فَقَالَ عليه السلام: **يَقْدِرُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُفَوِّضَ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى بَعُوضَةٍ مِنْ خَلْقِهِ أَمْ لَا؟** يقول الراوي: فقال فرج: نَعَمْ يَقْدِرُ، فَقَالَ عليه السلام: **أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ بَعُوضَةٍ وَمِنْ أَكْثَرِ خَلْقِهِ**(1).

نعم، إن الغرابة الناشئة عن الشك في قدرة الله لهي أوهى من الشك في ضياء الشمس، بل يبقى الريب في محله إذا كان في الرجل الذي يدّعي هذا المنصب الرفيع، فلا يستطيع المرء أن يتقبله إلّا بعد الفحص والتدقيق، أما إذا كان في أهل بيت الرسول فسوف لا يبقى للشك مجال، بعد استفاضة حديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله في أنهم قدوة الخلق وأئمتهم، وبعد أن عرفنا أن كل إمام كان أعلم أهل زمانه في كل شيء منذ ان تنتقل إليه الخلافة الروحية، وكذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام جميعاً.

ويكفيك في الإمام الجواد ما سبق من أنه سئل في مجلس واحد ثلاثين ألف مسألة، فأجاب عنها وهو ابن ثمان أو تسع، وأنه كان في

(1) بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٠٠.

زهاء السادسة عشرة من عمره إذ حضر مجلس المأمون وباحث مع قاضي القضاة، فأفحمه إفحاماً، وإذا علمنا أن المأمون كان كما يحدثنا التاريخ أعلم الخلفاء العباسيين وأعرفهم بعلوم أهل زمانه، ثم رأيناه كيف يخشع لجلال ابن الرضا عليه السلام في المشاهد التي مضت علينا؛ نعرف معنى العلم الإلهي ونوعيته.

وإليك بعض الأحاديث التي تُنْبِئُنَا عن جانب من علم الإمام الجواد عليه السلام:

١- عن أمية بن علي قال: كُنْتُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ بِمَكَّةَ فِي السَّنَةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا ثُمَّ صَارَ إِلَى خُرَاسَانَ وَمَعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ، وَأَبُو الْحَسَنِ يُوَدِّعُ الْبَيْتَ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ عَدَلَ إِلَى الْمَقَامِ فَصَلَّى عِنْدَهُ، فَصَارَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام عَلَى عُنُقِ مُوَفَّقٍ يَطُوفُ بِهِ، فَصَارَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى الْحِجْرِ، فَجَلَسَ فِيهِ فَأَطَالَ، فَقَالَ لَهُ مُوَفَّقٌ: قُمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ: **مَا أُرِيدُ أَنْ أَبْرَحَ مِنْ مَكَانِي هَذَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.** وَاسْتَبَانَ فِي وَجْهِهِ الْغَمُّ، فَأَتَى مُوَفَّقٌ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ جَلَسَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فِي الْحِجْرِ وَهُوَ يَأْبَى أَنْ يَقُومَ، فَقَامَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام فَأَتَى أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا حَبِيبِي، فَقَالَ: **مَا أُرِيدُ أَنْ أَبْرَحَ مِنْ مَكَانِي هَذَا،** فَقَالَ: بَلَى يَا حَبِيبِي، ثُمَّ قَالَ: **كَيْفَ أَقُومُ وَقَدْ وَدَّعْتَ الْبَيْتَ وَدَاعاً لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ،** فَقَالَ: قُمْ يَا حَبِيبِي، فَقَامَ مَعَهُ[1].

٢- كان يحيى بن أكثم قاضي القضاة في عهد المأمون، ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه تشيع أخيراً أو كان شيعيًّا، وينقل عنه أنه قال: فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلْتُ أَطُوفُ بِقَبْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ

(١) بحار الأنوار، ج٥٠، ص٦٣.

عَلِيٌّ الرِّضَا يَطُوفُ بِهِ، فَنَاظَرْتُهُ فِي مَسَائِلَ عِنْدِي فَأَخْرَجَهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً وَإِنِّي وَاللهِ لَأَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: **أَنَا أُخْبِرُكَ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي، تَسْأَلُنِي عَنِ الإِمَامِ؟** فَقُلْتُ: هُوَ وَاللهِ هَذَا، فَقَالَ: **أَنَا هُوَ**، فَقُلْتُ: عَلَامَةٌ، فَكَانَ فِي يَدِهِ عَصًا فَنَطَقَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ مَوْلَايَ إِمَامُ هَذَا الزَّمَانِ وَهُوَ الْحُجَّةُ[1].

٣- نقل بعض الرواة أنه: اجْتَازَ الْمَأْمُونُ بِابْنِ الرِّضَا عليه السلام وَهُوَ بَيْنَ صِبْيَانٍ فَهَرَبُوا سِوَاهُ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ لَا هَرَبْتَ فِي جُمْلَةِ الصِّبْيَانِ؟ قَالَ: **مَا لِي ذَنْبٌ فَأَفِرَّ مِنْهُ، وَلَا الطَّرِيقُ ضَيِّقٌ فَأُوسِعَهُ عَلَيْكَ، سِرْ حَيْثُ شِئْتَ**، فَقَالَ: مَنْ تَكُونُ أَنْتَ؟ قَالَ: **أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** عليهم السلام، فَقَالَ: مَا تَعْرِفُ مِنَ الْعُلُومِ؟ قَالَ: **سَلْنِي عَنْ أَخْبَارِ السَّمَاوَاتِ**، فَوَدَّعَهُ وَمَضَى، وَعَلَى يَدِهِ بَازٌ أَشْهَبُ يَطْلُبُ بِهِ الصَّيْدَ، فَلَمَّا بَعُدَ عَنْهُ نَهَضَ عَنْ يَدِهِ الْبَازُ فَنَظَرَ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ لَمْ يَرَ صَيْداً وَالْبَازُ يَثِبُ عَنْ يَدِهِ، فَأَرْسَلَهُ فَطَارَ يَطْلُبُ الْأُفُقَ، حَتَّى غَابَ عَنْ نَاظِرِهِ سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَقَدْ صَادَ حَيَّةً، فَوَضَعَ الْحَيَّةَ فِي بَيْتِ الطُّعْمِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ دَنَا حَتْفُ ذَلِكَ الصَّبِيِّ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى يَدِي، ثُمَّ عَادَ وَابْنُ الرِّضَا عليه السلام فِي جُمْلَةِ الصِّبْيَانِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ عَنِ النَّبِيِّ عَنْ جَبْرَئِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّهُ قَالَ: **بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْهَوَاءِ بَحْرٌ عَجَّاجٌ يَتَلَاطَمُ بِهِ الْأَمْوَاجُ فِيهِ حَيَّاتٌ خُضْرُ الْبُطُونِ رُقْطُ الظُّهُورِ يَصِيدُهَا الْمُلُوكُ بِالْبُزَاةِ الشُّهْبِ يُمْتَحَنُ بِهِ الْعُلَمَاءُ**.

فَقَالَ: صَدَقْتَ وَصَدَقَ أَبُوكَ وَصَدَقَ جَدُّكَ وَصَدَقَ رَبُّكَ فَأَرْكَبَهُ،

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٥٣.

ثُمَّ زَوَّجَهُ أُمَّ الْفَضْلِ[1].

٤- ويُروى عن فاصدٍ طلبه الإمام أبو جعفر الثاني في عهد المأمون، فَقَالَ لَهُ: **افْصِدْنِي فِي الْعِرْقِ الزَّاهِرِ**، فَقَالَ لَهُ: مَا أَعْرِفُ هَذَا الْعِرْقَ يَا سَيِّدِي، وَلا سَمِعْتُ بِهِ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا فَصَدَهُ خَرَجَ مِنْهُ مَاءٌ أَصْفَرُ، فَجَرَى حَتَّى امْتَلأَ الطَّشْتُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: **أَمْسِكْهُ**، وَأَمَرَ بِتَفْرِيغِ الطَّسْتِ، ثُمَّ قَالَ: **خَلِّ عَنْهُ**، فَخَرَجَ دُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ: **شُدَّهُ الآنَ**، فَلَمَّا شَدَّ يَدَهُ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَار، فَأَخَذَهَا وَجَاءَ إِلَى يُوحَنَّا بْنِ بَخْتِيشُوعَ فَحَكَى لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا سَمِعْتُ بِهَذَا الْعِرْقِ مُذْ نَظَرْتُ فِي الطِّبِّ، وَلَكِنْ هَاهُنَا فُلانٌ الأُسْقُفُ قَدْ مَضَتْ عَلَيْهِ السُّنُونَ فَامْضِ بِنَا إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمُهُ وَإِلَّا لَمْ نَقْدِرْ عَلَى مَنْ يَعْلَمُهُ، فَمَضَيَا وَدَخَلا عَلَيْهِ وَقَصَّا الْقَصَصَ، فَأَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ نَبِيًّا أَوْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نَبِيٍّ[2].

وهكذا تمضي الأحاديث تنقل عن الأئمة عجباً، ولكن لا عجب من أمر الله، إذ يشاء أن يجعل علمه ومعرفته وقوته وقدرته في إنسان امتحن قلبه، فزكاه وطهّره تطهيراً.

دال: من كلمات الإمام:

١- الروايات المفتعلة:

يروى: «أَنَّ الْمَأْمُونَ بَعْدَ مَا زَوَّجَ ابْنَتَهُ أُمَّ الْفَضْلِ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام كَانَ فِي مَجْلِسٍ وَعِنْدَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَيَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٥٦.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٥٧.

لَهُ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: مَا تَقُولُ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ فِي الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ: أَنَّهُ نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: سَلْ أَبَا بَكْرٍ هَلْ هُوَ عَنِّي رَاضٍ؟ فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: لَسْتُ بِمُنْكِرٍ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ هَذَا الْخَبَرِ أَنْ يَأْخُذَ مِثَالَ الْخَبَرِ الَّذِي قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:

«قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ وَسَتَكْثُرُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا أَتَاكُمُ الْحَدِيثُ فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّتِي، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي فَخُذُوا بِهِ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ».

وَلَيْسَ يُوَافِقُ هَذَا الْخَبَرُ كِتَابَ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1].

فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَفِيَ عَلَيْهِ رِضَا أَبِي بَكْرٍ مِنْ سَخَطِهِ حَتَّى سَأَلَ مِنْ مَكْنُونِ سِرِّهِ؟! هَذَا مُسْتَحِيلٌ فِي الْعُقُولِ.

ثُمَّ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَثَلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ فِي السَّمَاءِ.

فَقَالَ عليه السلام: وَهَذَا أَيْضاً يَجِبُ أَنْ يُنْظَرَ فِيهِ لِأَنَّ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ مَلَكَانِ للهِ مُقَرَّبَانِ لَمْ يَعْصِيَا اللهَ قَطُّ وَلَمْ يُفَارِقَا طَاعَتَهُ لَحْظَةً وَاحِدَةً، وَهُمَا قَدْ أَشْرَكَا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ أَسْلَمَا بَعْدَ الشِّرْكِ وَكَانَ أَكْثَرُ أَيَّامِهِمَا فِي الشِّرْكِ بِاللهِ؛ فَمُحَالٌ أَنْ يُشَبِّهَهُمَا بِهِمَا.

قَالَ يَحْيَى: وَقَدْ رُوِيَ أَيْضاً أَنَّهُمَا سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَا تَقُولُ

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

فِيهِ؟

فَقَالَ عليه السلام: وَهَذَا الخَبَرُ مُحَالٌ أَيْضاً، لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلَّهُمْ يَكُونُونَ شَبَاباً وَلَا يَكُونُ فِيهِمْ كَهْلٌ. وَهَذَا الخَبَرُ وَضَعَهُ بَنُو أُمَيَّةَ لِمُضَادَّةِ الخَبَرِ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ بِأَنَّهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟

فَقَالَ عليه السلام: وَهَذَا أَيْضاً مُحَالٌ، لِأَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَلَائِكَةَ اللهِ الْمُقَرَّبِينَ وَآدَمَ مُحَمَّداً وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لَا تُضِيءُ بِأَنْوَارِهِمْ حَتَّى تُضِيءَ بِنُورِ عُمَرَ.

فَقَالَ يَحْيَى: وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ.

فَقَالَ عليه السلام: لَسْتُ بِمُنْكِرٍ فَضَائِلَ عُمَرَ وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ فَقَالَ عَلَى رَأْسِ المِنْبَرِ: إِنَّ لِي شَيْطَاناً يَعْتَرِينِي فَإِذَا مِلْتُ فَسَدِّدُونِي.

فَقَالَ يَحْيَى: قَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: لَوْ لَمْ أُبْعَثْ لَبُعِثَ عُمَرُ.

فَقَالَ عليه السلام: كِتَابُ اللهِ أَصْدَقُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ، يَقُولُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1].

فَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَدِّلَ مِيثَاقَهُ؟! وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ عليهم السلام لَمْ يُشْرِكُوا طَرْفَةَ عَيْنٍ فَكَيْفَ يُبْعَثُ بِالنُّبُوَّةِ مَنْ أَشْرَكَ وَكَانَ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

أَكْثَرُ أَيَّامِهِ مَعَ الشِّرْكِ بِاللهِ؟! وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «نُبِّئْتُ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

فَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَا احْتَبَسَ الْوَحْيُ عَنِّي قَطُّ إِلَّا ظَنَنْتُهُ قَدْ نَزَلَ عَلَى آلِ الْخَطَّابِ.

فَقَالَ عليه السلام: وَهَذَا مُحَالٌ أَيْضاً؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَشُكَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فِي نُبُوَّتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(1).

فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَنْتَقِلَ النُّبُوَّةُ مِمَّنِ اصْطَفَاهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ أَشْرَكَ بِهِ؟!

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «لَوْ نَزَلَ الْعَذَابُ لَمَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عُمَرُ».

فَقَالَ عليه السلام: وَهَذَا مُحَالٌ أَيْضاً، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(2).

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَلَّا يُعَذِّبَ أَحَداً مَا دَامَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَمَا دَامُوا يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى»(3).

٢- أنا محمد:

وروي أَنَّهُ جِيءَ بِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٨٣، ط ٢.

بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ وَهُوَ طِفْلٌ وَجَاءَ إِلَى الْمِنْبَرِ وَرَقِيَ مِنْهُ دَرَجَةً ثُمَّ نَطَقَ فَقَالَ:

«أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الرِّضَا، أَنَا الجَوَادُ أَنَا الْعَالِمُ بِأَنْسَابِ النَّاسِ فِي الأَصْلَابِ، أَنَا أَعْلَمُ بِسَرَائِرِكُمْ وَظَوَاهِرِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ عِلْمٌ مَنَحَنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَبَعْدَ فَنَاءِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، وَلَوْلَا تَظَاهُرُ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَدَوْلَةُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَوُثُوبُ أَهْلِ الشَّكِّ لَقُلْتُ قَوْلًا تَعَجَّبَ مِنْهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ».

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى فِيهِ وَقَالَ: **«يَا مُحَمَّدُ! اصْمُتْ كَمَا صَمَتَ آبَاؤُكَ مِنْ قَبْل»**[1].

وفيما نأتي على هذا القدر المقدور نحمد الله تعالى ونصلّي على نبيّه والمعصومين من آله ونسلم لهم تسليماً.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٨.

المحتويات